عبد الرحمن حجاج

محمد عز الصغير

31/12

بتوقيت الفراق

الرسم بالكلمات للنشر والتوزيع

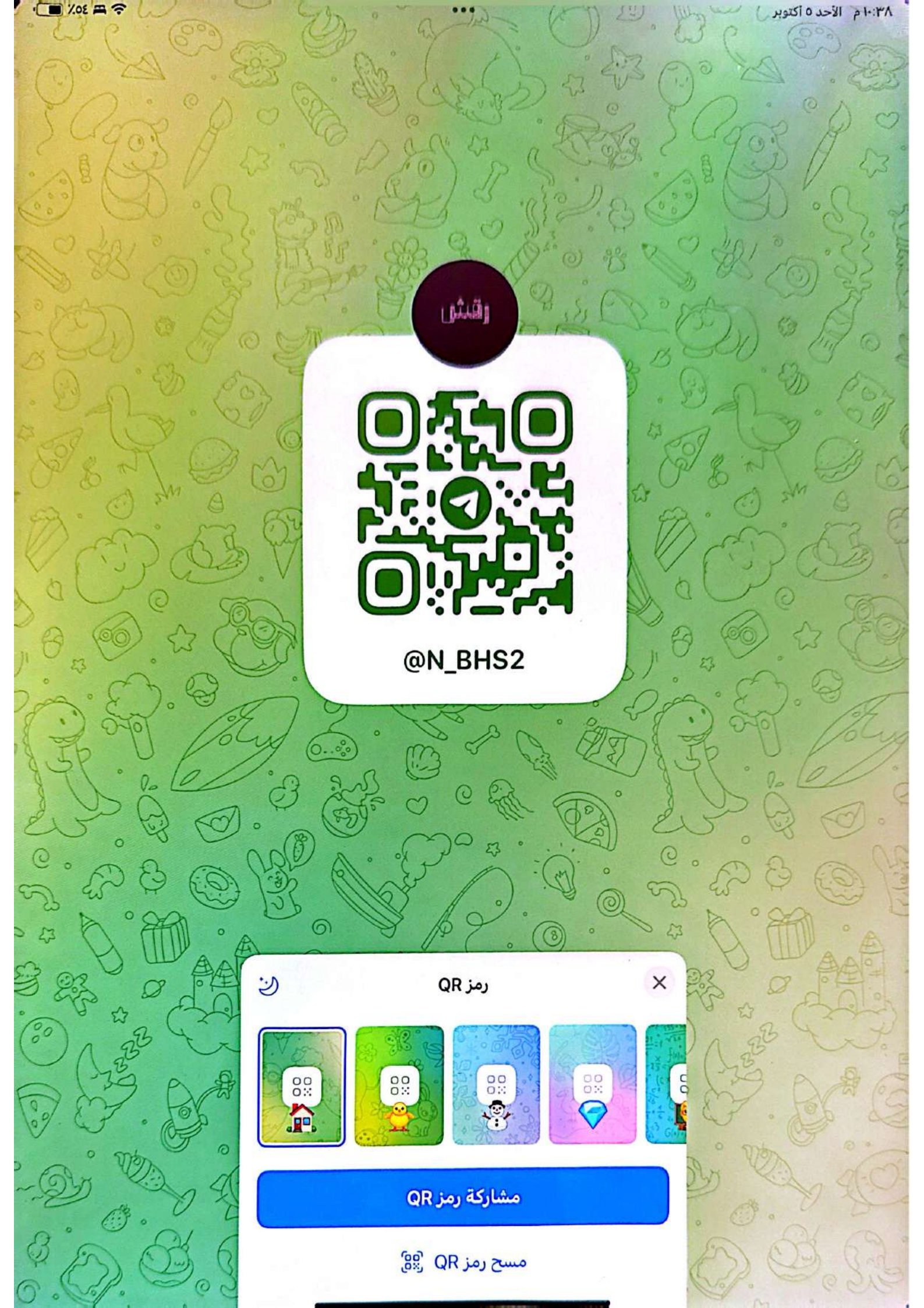
رقش
@N_BHS2
رمز QR
مشاركة رمز QR
مسح رمز QR

المقدمة

ككاتب وُلِدَ وعاش حياته بأكملها داخل أحضان مدينة مفعمة بالسحر والذكريات والحكايات كالإسكندرية، ظلت فكرة أن أكتب مجموعة قصصية باللغة العامية عن حكاوي تلك المدينة حلمًا يراودني لسنوات طويلة، خصوصًا وأن أعمالي الروائية تختلف كل الاختلاف مع أسلوب هذا الكتاب كَسَردٍ ومضمون. في السنوات الأخيرة طلبت من قرّائي وأصدقائي مشاركة مشاهد خاصة من حياتهم وحكايتهم حتى أجمعها كلها بأسلوبي داخل طيّاتِ هذا الكتاب القريب جدًّا إلى قلبي، بالإضافة لحكايات شخصيّة خاصّة جدًّا حدثت معي وشكَّلَتني، حدثت أغلبها في شهر ديسمبر بمدينة الإسكندرية لكن في سنوات مختلفة، حكايات عشتها بكل تفاصيلها، بألمها وفرحتها، مع تغيير للأسماء بالطبع لتتحول في نهاية الأمر للخواطر التي بين أيديكم الأن لتكون شاهدة على الحكايات قبل أن تنسى.

هذا الكتاب هو مهربكم المتواضع من الكتب الضخمة والروايات الدسمة التي نعشقها جميعًا.

والآن.. أتمنى لكم رحلة مختلفة إلى الإسكندرية مع هذا الكتاب ليكون استراحة بسيطة بين قراءاتكم، وتَذكرتكم للبحر، والحنين، والماضي.

إهداء

لكل اتنين حبوا بعض..

كانوا فاكرين الحكاية هتكمل بس القدر طلع لسانه وقال: «مافتكرش».

للحواديت ...

اللي بتشكلنا وتبنينا وتهدنا وترجع من تاني تعيد ترتيبنا زي المكعبات.

وللإسكندرية..

الملهمة الأولى للروح والقلب والشاهدة على البدايات والنهايات.

استراحة بين محطات الحنين

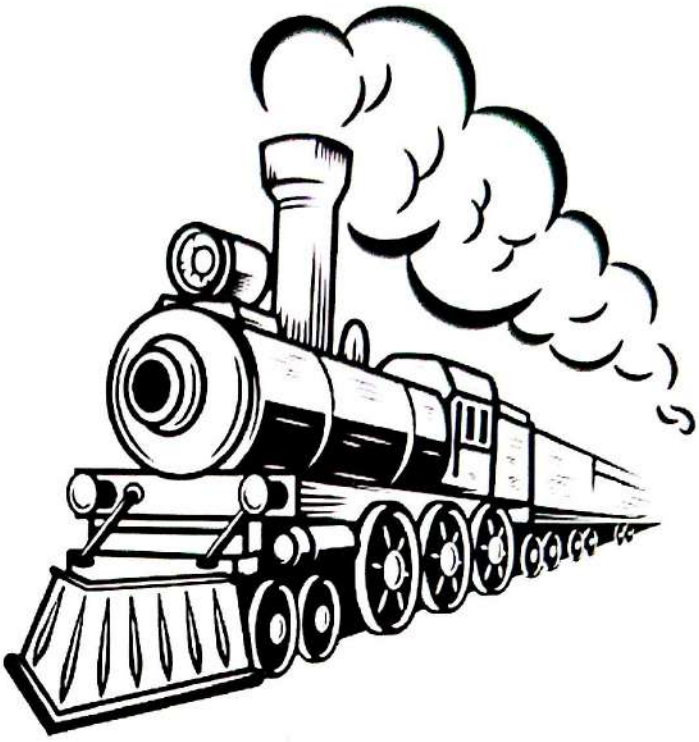

المحطة ١

أسأل نفسي دومًا، هل سيأتي اليوم وتعود مَلك إلى الشاطئ كَعروس بحر؟ تمسكني من يدي وتأخذني لأعماق بحرها وعيونها؟ هل ستعود؟ حتى لو بإشارة تخبرني بها بأنني ما زلت الحبَّ الأول والأوحد لقلبها؟ أم أن تلك القصة كُتِبَ عليها النهاية؟ما زلت أحبها وما زلت أراها وأتمناها في كل لحظة، أغمض عيني فأتجرعها في أنفاسي وروحي، أم أني لا أتجرع سوى حزني؟

الإسكندرية – ديسمبر..

- عارف يا يوسف.. أنا في واحدة من حيواتي اللي قبل كده كنت عصفورة؟

ضحكت وأنا بحضنها وسألتها باهتمام:

- وانتي عرفتي ازاي؟

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقّش

- مش عارفة.. بس حاسة إنه بجد.

البحر كان عالي والشتا شادد حيله، يمكن أعلى من طبيعته في الوقت ده من السنة، عشان كده أنا وهي كنا الوحيدين اللي على الشط في الوقت ده. في الشتا الناس بتحب البحر من بعيد.. بس عشان ملك أنا ممكن أقبل دور برد محترم عشان تتبسط..

- أنت بقى تفتكر كنت ايه في حياة سابقة؟

- مش عارف.. عمري ما فكرت في حاجة زي دي قبل كده.

- ماتبقاش رخم.. فكر في أي حاجة.

- احتمال سمكة ؟ طول عمري بسمع إني بعرف أعوم كويس.

البحر غدار وده مش مجرد وصف، في طفولتي البحر سرق مني كراسة الرسم اللي كنت بحبها ومعاها شوية ألوان شمع، البحر مرة سرق مني نضارة النظر اللي بسببها أخدت علقة محترمة على ضياعها، بس البحر ساحر، عشان كده رغم غدره بنرجعله تاني في كل مرة..

- تيجي نلم شوية وَدع من على البحر؟

- هدومك هتتبل .. خلي بالك.

- يا حبيبي خليها تتبل.. يلا يلا دور معايا على الودع والقواقع اللي شكلها حلو.

- حاضر يا ستي.. وداعًا للجزمة الجديدة عشان خاطر عيونك.

سلسلة ملك المفضلة عليها عصفورة صغيرة، عصفورة تشبه ملك في بساطتها وحريتها وخفة روحها، ملك بتحب الفضة أكتر من الدهب، بتحب المسرح أكتر من السينما وبتحب حميد الشاعري زي ما أنا بحبه بالظبط، دي حتى في مرة سمعتني أغنية ليه ماكنتش سمعتهاله قبل كده اسمها

الفستان الأسود..

- تفتكر في مخلوقات عايشة تحت البحر؟

- ده على أساس إن السمك ده جماد ولا ايه؟

- لا أقصد مخلوقات تانية أكيد.. تفتكر في عروسة البحر؟

- ازاي ممكن أنكر وجودها وهي قدامي أهي.. انتي عروسة البحر بتاعتي.

- كلامنجي أوي.. بس برضو بحب كلامك.

أجمل حاجة في علاقتي بملك الراحة اللي بحس بيها في وجودها، ملك هي البراح اللي في العالم، البراح كله متجسد فيها كإنسانة، ملك روحها تشبه بالظبط العصافير اللي بتحبها، لو صحيت في يوم لقيت لملك جناحات أعتقد إني مش هستغرب.

السنين اللي عيشتها مع ملك هي السنين الوحيدة اللي حسبتها في عمري، ملك هي الحقيقة الوحيدة في عمري واللي عمري ما ينفع أبدلها بشخص تاني مهما طالت السنين، المخلوق الوحيد اللي بيكملني وبيشبهني ويعرفني أكتر من نفسي..

أنا محظوظ إن حياتي فيها ملك..

- سرحت في ايه يا عم الشاعر؟

- فيكي.. كالعادة.

- مش بقولك كلامنجي..

- أنا بحبك يا ملك.. ومش هحب حد تاني.. ده وعد.

- آسفة لو ساعات بكون بعيدة..

- الحاجة الوحيدة اللي بتطمني في بعدك هو إني ببقى عارف إنك هترجعي تاني ومش هتتأخري كتير.

ضحكت وحضنتني..

حضن يساوي العالم كله في قدرته على الاحتواء..

- تيجي ننزل البحر؟

- لا الجو برد..أكتر من كده جنان مش هقدر.

- هيحصل ايه يعني .. تعال بس.

- خايف عليكي..

- مفيش حاجة تانية ممكن تحصلي يا يوسف...

بصيت حواليا.. أنا لوحدي تمامًا وسط شاطئ مالوش نهاية

مديت ايدي ألمس السلسلة اللي حوالين رقبتي.

سلسلة متعلق فيها عصفورة صغيرة...

مسحت دموعي بأيدي وضحكت للبحر زي ما أكون بودعه.

وعلى قد ما فراقها بيوجع كل يوم.

على قد ما أنا عارف إني هفضل أشوفها في البحر.

وفي كل عصفورة تشبه لروحها . . .

المحطة ٢

لا أشعر بالبرد في الجوِّ المحيطِ بي، أشعر به كله داخلي، البرد الذي تركتِه في شغاف قلبي فاق برودة الأيام والشتاء. وفاق حتى قدرتي على الاحتمال، لم أتوقع في يوم من الأيام أن أجد من يغلب تلك الإسكندرية في برودتها وقسوتها، حتى عرفتكِ وأدركتُ أنكِ الأقوى، وها أنا الآن وحيد في بيت وحيد، حزين في بيت حزين، يشبهني تمامًا، أبحث عنك بين الوجوه ولا أراكِ كلما حاولت أو تمنيت، وكأن العالم أصدر حكمًا غيابيًّا بأن أنفى من حياتك إلى الأبد..

الجو برد..

بس أنا لابس خفيف..

احتمال إني عايز أحس بالبرد؟ أو احتمال إن برد خارجي يقدر يضيع برد داخلي؟

الشباك مفتوح.. هواه بيزق كومة الورق اللي على الترابيزة ويطيره..

هو ده كان ورق ايه؟ مديت ايدي.. الورق كله فاضي..

فاضي تمامًا زي حياتي.. زي روحي..

الجو برد بس برضو مش هقفل الشبابيك..

بتمنى إن شوبة الهوا دول زي ما بيطيروا ورقي يطيروا كمان كل الوَحشة

2575565132

اللي جوه البيت..

البيت في الطبيعي بيبقى عفش وحب وذكريات..

أما بيتي فأصبح خليط من الحنين والغربة..

عكس أي أحساس ممكن تحسه جوه حضن البيت..

عيوني بتاخد لفة في الشقة..

مش شايف فيها غيرك..

يمكن لما السمسار زمان قالي إن الشقة مساحتها كبيرة كان يقصد إنها بتشيل كمان أرواح اللي عاشوا فيها..

بس ازاي روح تفضل في مكان رغم إنك لسه عايشة.. لسه لحم ودم.. لسه بتكملي مشوارك..

كنت فاكر إني لوحدي اللي هفضل حبيس الأربع حيطان دول.. لا قادر أنساكي ولا قادر أكسر سلاسل حبي ليكي..

في الظروف دي، كنتي هتبقي بتتخانقي معايا على لبسي الخفيف ده، وتقولي إني لازم آخد بالي على نفسي شوية زيادة.. مفكرتيش إنك لما تمشي نفسي هتبقى وحيدة تمامًا.. مفكرتيش إني من الكائنات الحية، أو شبه الحية اللي محتاجة ونس.. وخصوصًا لو الونس ده كان ونسك...

بس انتي وانتي بتلمي شنطتك حطيتي مع هدومك كل الحاجات اللي

بتخليني عايش...

روح وقلب وطاقة.. أخدتي كل حاجة ومن ساعتها وأنا بخاف أخرج للشارع أواجه الحياة بلا روح...

بس عارفة...

الروح ماراحتش مرة وحدة يوم فراقك..

الروح كانت بتروح بالتصوير البطيء.. زي فيلم مدته ساعتين بس من مشهد واحد.. بيفضل يتعاد ويتعاد .. وفي كل إعادة بيسحب حتة منك.. عينك متعلقة على الشاشة... مش بتحس باللي بيروح منك.. ولما بتبدأ تفوق وتحس إنك خسرت كل حاجة.. بيبقى بعد فوات الأوان...الجو برد...

الحل إني أدخل ألبس حاجة تقيلة...

ساعات بنحتاج عوامل خارجية تحتوينا وتطمنّا ..

زي العيال لما بيستخبوا تحت البطانية من العفاريت..

بنحتاج ساعات لأي حاجة مش حقيقية.

تحمينا من عفاريت حقيقية جدًّا جدًّا

الفرق بس إن عفاريت الكبار بيقدروا يشيلوا البطانية اللي ياما خبتنا واحنا عيال..

ويا ريتنا فضلنا عيال. . .

أما بعد. .

الحزن أصبح رفيق السكن الجديد.

بيتمثل في شخص حزين شبهي تمامًا. . وكأني قاعد مع جزء أسوأ مني. .

وبستغرب جدًّا. . هو في أسوأ من كده؟

بقيت بكلم الشخص دا .. بشاركه حتى أدق تفاصيل يومي وأتعس أسراري. .

كلنا بنحتاج ونس حتى وإن كان على هيئة حزن. . .

بَطُل من الشباك وبشوف الشوارع مليانة دباديب وقلوب حمرا وقصص حب محكوم عليها بالنهاية فبضحك بسخرية على انعكاس صورتي في كل واحد حاسس بالحب في اليوم ده. .

بقفل شباكي، أمسك كوباية الينسون اللي اتخلق عشان يطبطب على قلبي وبقرر إني مش هسمع مزيكا ولا هشوف فيلم ruby sparksزي كل ليلة. . .

أنا هلم الورق الفاضي اللي متبعتر في كل مكان

وأحاول من باب التغيير .. إني أبدأ أملاه . . .

المحطة ٣

قالوا إن علاج القلب المحطم هو حب جديد، ولكن هل يوجد حقًا علاج ودواء للفراق؟ هل من يكتب ويحكي عن الحب عاشه في يوم من الأيام؟ أم هي مجرد كلمات؟ هل يتحول الألم إلى أمل مع الأيام؟ والوجع الذي تسببت فيه تلك القصة يمكن نسيانه بمكالمة هاتفية واحدة؟ أم أن ما حدث قد حدث ولا أمل بانتظار شيء لم ولن يأتي؟ هل عودة الماضي من جديد راحة لنا؟ أم دائرة لا تتوقف من الألم والحنين؟

مش عارف أول ما لقيت التليفون بيرن في الوقت ده اتخضيت عشان الساعة ٣ الصبح ولا عشان بقيت متعود إن مافيش حد بيكلمني من الأساس؟

التليفون بيرن بنمرة مش متسجلة ولكن شكلها مألوف، نمرة في الأغلب كنت حافظها زمان، كنت حافظها أيام ما كان عندي القدرة والموهبة على حفظ الأشياء من الضياع...

- ألو؟

- ....

- ألو؟!!

- حازم ... ازيك أنا سلمى.

- سلمى!!

- سلمى يا حازم.. أنت نايم شكلك وأنا صحيتك.. متأسفة.

- أنا صاحي.. بستوعب بس إنك فعلًا بتكلميني...

- عامل ايه يا حازم؟

- انتي مكلماني بعد ٣ سنين تقوليلي عامل ايه؟

ضحكت بكسوف وقالت بصوتها اللي بحبه:

- لأ اكيد بس بطمن عليك يعني.

- أنا زي الفل.. كله تمام الحمد لله.

- فك بس وبلاش الخضة دي.. خليك فريش احنا في رحلة يا حازوم.

- سلمى انتي فاضية؟ بجد ايه اللي فكرك بيا بعد السنين دي؟

- عادي ... وحشتني

- .....

- مش هتقولي وانتي كمان وحشتيني؟

- مش بتتغيري يا سلمى.. عدت سنين ومش بتتغيري.. فاكرة زمان لما كان نفسك تربي قطة وفضلتي تزني على الموضوع ده؟ وقتها قولتلك إن الموضوع مسئولية كبيرة بس برضو كنتي مصرة.. وهما أسبوعين وقولتيلي

إنك زهقتي منها.. طول عمرك بتتعاملي مع الأشخاص والأشياء زي ما العيال بيتعاملوا مع اللعب، الموضوع كله متروك للاحتمالات، لعبة احتمال يحبها ولعبة احتمال يزهق منها ولعبة احتمال يكسرها.. وأنا في حكايتك انتي كنت الاحتمال رقم تلاتة...

- أنا بجد آسفة على اللي حصل مني زمان.. والله أنا اتغيرت.

- أعتقد إن أكتر حاجة مش حقيقية اتقالت في الحياة عمومًا هو إن في إنسان بيتغير مهما من جواه بيحاول، زي ما أنا مثلًا ماتغيرش جوايا رغبتي بأني بحب أعرف اخبارك كل فترة .. وكنت عارف إنك هتكلميني اليومين دول..

- ازاي؟ بقيت ساحر؟

- لأ .. بس عرفت إن رامي سابك.. تقريبًا عمل معاكي نفس اللي عملتيه معايا بالظبط.. قوليلي لو اللي بقوله غلط..

- حازم أنا....

- انتي كنتي الحدث الأهم في حياتي، بفتكر دايمًا قد ايه تعبت عشان أوصلك، عدد صعب أفتكره من المحاولات عشان أقدر أوصل لقلبك، كنت بتشقلب عشان تشوفيني وتحسي بوجودي، كنت بحاول دايمًا إني أفرحك وأعرف بتحبي ايه عشان أعمله. وبوم ما وافقتي تدينا فرصة كان اليوم الأهم في حياتي، كنت كاتب التاريخ ده تقريبًا في كل مكان، عشان الوصول

ليكي كان حلم وأمنية...

- يعني انت بجد شوفتني غير أي حد؟

- عندك شك في ده؟ بس على قد ما أنا شوفتك غير أي حد على قد ما انتي كنتي بتثبتيلي إني غلطان.. كان قلبي عنده الاستعداد إنه يفضل يسامحك طول العمر على أي غلط أو جرح بتتسببي فيه لقلبي.. كان قلبي عنده الاستعداد إنه يفضل يديلك بدايات جديدة غير مشروطة يا سلمى.. وفي الآخر عملتي ايه؟ سيبتيني...

- بس أنا ساعتها كنت أصغر.. وكلنا بنغلط.. عايز تقولي إنك مش بتغلط؟

- طبعًا بغلط.. بس مش بغلط في حق اللي حبيتهم مش بغلط في اختياري للي هيسكن قلبي.. الحب والسكن مفيهموش أخطاء يا سلمى.

- أنا مش بكلمك عشان ترجعلي ولا بكلمك عشان تحس بأي شفقة من ناحيتي.. أنا فعلًا بكلمك عشان وحشتني...

- ممكن أسألك سؤال؟

- اسأل..

- انتي حبيتيني زمان أيام ما كنت هموت عليكي؟ ولا الموضوع كان مجرد تجربة؟

- أنا حبيت حبك ليا أكتر ما حبيتك..ودلوقتي مفيش جوايا حنين لحد قد ما بحس بالحنين ليك.. كل حاجة معاك كانت صح وكانت مريحة.. ومين يوم ما بعدت عنك وأنا بدور على الراحة يا حازم.

- وانتي من يوم ما مشيتي وأنا بدور على إجابات وبدور عليكي في كل حد دخل حياتي..

- ولقيتني في حد تاني؟

- للأسف مفيش حد بيملا مكانك، مهما دورت وحاولت.. هي سلمى واحدة بتفاصيلها بعيوبها.. سلمى واحدة رغم كل حاجة.. سلمى الدنيا وسلمى الحقيقة.

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقَش

- أنت طول عمرك طيب وهتسامحني.. أنا حاسة بكده... طول عمرك بتصفى وتعديلي.. أنا زي اللي بقالي سنين بيدخل في شوارع وطرق غلط يا حازم.. وأنت الطريق الوحيد الصح.. الطريق الوحيد اللي هيوصلني للراحة والطمأنينة اللي مالقتهومش مع أي حد في الدنيا..

- كلامك بقى حلو يا بنت انتي.. سلمى.. ادخلي نامي دلوقتي والصباح رباح....

المحطة ٤

أسجل تلك الكلمات لنفسي، لأحكي وأبوح عما بداخلي، أحكي عن كل ما مررت به، كل ما تمنيت وكل ما أتمنى نسيانه بشتى الطرق الممكنة، أسجل كلماتي لأخبر نفسي وأخبرك بأنني أشتاق إليكِ في كل الأوقات، أشتاق إليكِ حتى كادت ضلوعي تنخلع من مكانها وتتركني بلا روح ولا هوية، فهويتي الوحيدة كانت أنتِ، ومن بعدك أنا أشبه بورقة تتطاير مع الهواء، بلا مرسى وبلا هدف أو حتى أمل..

من يوم ما مشيتي والحاجات اللي بحبها بقت بهتانة.

ملهاش لون..

واللف بالعربية لساعات مع المزيكا.

بقت حاجة عادية أوي وانتي مش موجودة.

ومفيش حد بيتعود على الوحدة مهما الوقت بيطول...

* *

الراديو ده محتاج بطاريات باين عليه..

-خبطتين على الراديو-

الراديو ده شكله بايظ!!

-خبطتين تانيين على الراديو المسكين-

للأسف الراديو طلع مش بايظ، الراديو قرر يلعب لعبته الدنيئة معايا ويظبط موجاته وضرباته في اللحظة دي بالذات على أغنية مسار إجباري واللي بتقول:

«فاكرة أما كنا ساعات نلف ساعات نطوف

نضحك على ساعات الزمن مايعديهاش

تجري عواميد جنبنا حتى اليفط تضحكلنا

تقطعها كلمة مننا هنزل هنا

دلوقتي وحدي ساعات ألف

هي كمان ساعات تطوف

نسمع أغاني بعضنا... مانغنيهاش».

يااااه ..للدرجادي بقالنا كتير مش بنتكلم؟؟ .. الشات بينا نزل تحت كده؟ قد ايه الدنيا دي غريبة..

«صوت ضغطة ايدي على علامة تسجيل فويس ريكورد في الواتساب».

ازيك؟

عاملة ايه في الجو ده يا عدوة الشتاء الأولى؟

تلاقيكي قاعدة تحت البطانية وفي إيدك مج الهوت تشوكلت بتدعي إن الفصل ده يخلص..

أكيد انتي مستغربة ظهوري المفاجئ ده وإني داخل ببعتلك فويس مسدج.

بس انتي عارفة من زمان إن كل ما الجو بيقلب بتيجي في بالي.

وجود الشتا ووجودك حاجتين صعب أفصلهم عن بعض مهما عدت سنين..

ده حتى أول مرة قابلتك فيها كان الجو زي اليومين دول..

امبارح كنت في فرح رنا وتوقعت بصراحة إنك هتكوني موجودة، كلهم سألوني عليكي امبارح بس للأسف أنا بقيت بعيد وماعرفش حاجة عن أخبارك..

أخبار حياتك ايه؟

مبسوطة؟

مرتاحة؟

في حد جديد؟

لسه باجي في بالك؟

معلش... بسأل كتير عشان مش عارف حاجة عنك بقالي كتير..

انتي عارفة إني لحد دلوقتي بسأل نفسي احنا سيبنا بعض ليه

مهما بدور على إجابات مش بلاقي..

احنا حتى نادر أوي لما كنا بنختلف.

واضح إن مش بس الحواديت اللي فيها مشاكل هي اللي بتخلص

كل حكاية وليها نصيبها من السعادة والألم..

بصي..

أنا عارف إنك بتكرهي الموضوع ده بس أنا عمومًا لسه بدخل أشوف صورك.

حلو شكل شعرك بعد ما قصيتيه

من أسبوعين كده خدت إجازة كام يوم وقعدت أتفرج على أفلام..

وقع قدامي الفيلم اللي بتحبيه أوي ده.

بتاع واكين فينكس .. ..Her

حاسس إني بقيت عامل زي الجدع ده.. فاضلي شوية كمان وهبدأ أربط حياتي بصوتك.

ممكن تشوفي إن ده جنان.

بس أنا بقعد أسمع كل الفويس نوتس بتاعتك.. بقعد أسمع ضحكتك..

نَفَسك.. هزارك

برجع أعيش لحظات عارف إنها مش راجعة تاني... بعيشها مع صوتك.

طبعًا مستحيل أحكي لحد الموضوع ده عشان هيقولوا الواد اتجنن.

بس انتي متعودة مني على ده.. عشان كده بحكيلك انتي وأنا مطمن ..

أصل مين تاني هيفهمني... مين تاني هيستوعب كل الكم ده من الغرابة..

أقولك حاجة بس من غير ما تشوفي نفسك عليا؟

أنا حرفيًا مش لاقي حد يملى عينيا من بعدك.

مفيش حد بيعرف يفرحني.

مفيش حد بيعرف يفهمني.

انتي كنتي كل حاجة.. ولا زلتي ...

أنا بقالي كتير برغي..طولت عليكي أنا آسف..

يا ريت تبقي تردي عليا.. وتطمنيني عليكي.

مش عايز أكتر من إني أطمن عليكي وأسمع صوتك..

* *

«خلصت الفويس نوت...وبكل هدوء مسحت كل اللي قولته من غير

ما أبعته»

خبطتين تانيين على الراديو.

بخبط عليه وأنا منتظر وكلي أمل إنه لما يرجع تاني يشتغل تكون الأغنية اللي عليه...أي أغنية

أي أغنية... بس تكون مابتفكرنيش بيها ....

المحطة ٥

السؤال الذي لم يتوقف عن القفز مرارًا وتكرارا إلى رأسي، ما صلة ديسمبر بالفراق والألم؟ لماذا لم تكتمل قصة واحدة في أحضان ديسمبر؟ لماذا حين يعود الشتاء يعود حاملًا حقيبة ضخمة مليئة بالذكريات والحنين؟ لماذا لا نغلق أبوابنا في وجهه ونطلب منه الرحيل بلا عودة؟ لماذا يتوجب علينا كل عام أن نستقبله في الوقت ذاته لنعيد معه ذكريات لا تنتهي ولا تتركنا لحالنا أبدًا؟

صحيت النهاردة من صوت الهوا وهو بيخبط في الشباك بيحاول بكل جهد إنه يدخل بالعافية..

ورغم إن الشبابيك كانت مقفولة بإحكام إلا إن الهوا بدهائه قدر يدخل..

في ضيوف اتعودوا مايدخلوش مكان إلا وفي إيديهم هدية، مش مهم ايه نوع الهدية المهم إن أيديهم ماتكونش فاضية وقت اللقا...

وديسمبر العزيز يشبه تمامًا النوع ده من الضيوف..

ديسمبر عمره ما بيرجع في هدوء وبساطة زي أغلب الشهور..

بيرجع ومعاه مخزون كافي من الذكريات اللي بنفضل من ديسمبر اللي قبله بنحاول نلملمها ونخبيها.. أو في أفضل الظروف.. نتخلص منها..

ديسمبر بالنسبالي زمان كان شهر الوعود، وتحديدًا ديسمبر من ييجي

خمس سنين، ديسمبر وقتها عشته في إسكندرية وفي الوقت اللي كان الشتا بيتباهى بقوته وغضبه، كنت حاسس بكل الدفا اللي في الدنيا لمجرد إنها كانت موجودة ساعتها، وفي الواقع مفيش أجمل من كده مصدر للدفا..

السنين علمتني أكتسب خبرات عظيمة في التخفي والهروب، التخفي من الحنين بشكل خاص والهروب من الماضي بشكل عام، خبرات زي إني أتحاشى تمامًا كل ما هو «قديم» وكل ما قد يعيدك لذاكرتي ولو للحظات قليلة عابرة، اللحظات دي في الأغلب بيفضل تأثيرها موجود لفترة أطول من اللازم..

صحيت من نومي وأنا بدور على شرابي الشتوي المفضل اللي بيحسسني بقدر من الطمأنينة في الوقت ده من السنة وساعتها أول حاجة جات في بالي كان سؤال عبيط بيقول:

«ليه مفيش شرابات صوف للقلوب اللي أصابها البرد والوحدة؟».

ضحكت على أفكاري وبعدها دخلت عملت كوبايتين شاي ليا ولذكرياتي، عيب الأيام اللي بنقعدها في البيت إننا بنبقى فيها جاهزين لاستقبال أي ضيوف، حتى إن كانوا ضيوف غير مرغوب فيهم زي الذكريات كده بالظبط..

وعشان أكون كريم تمامًا في استقبالي، سيبت صوت أنغام يتحرك في كل ركن من أركان الشقة عشان يقدر الحزن يوصل للكمال بلا أي ملاحظات..

«ولما يجيني من تاني.. يسامحه القلب في ثواني.. كأنه ليالي متألمش».

ديسمبر زي ما بستقبله كل سنة بيبقى نفسي ألاقيه بيديني إجابات طالت.

احنا امتى تحديدًا بننسى؟

هل بننسى أصلًا؟

طب ليه احنا مش بتعرف ننسى وهما بيكملوا حياتهم عادي من غيرنا؟

هل لو فضلنا نسأل هنلاقي جواب ولا هي أسئلة ملهاش نصيب في إجابات؟

بعد الاستقبال الحافل نزلت الشارع عشان بس أثبت لنفسي إن برد الشتا أقوى من الحنين وتوابعه، ولكني وبكل أسف طلعت غلطان وده طبعًا مش محاولة إني أقلل من شأن البرد، ولكن ببساطة لأن كل شارع كانت هي موجودة فيه...

الكافيهات ريحة البن منها هي.

الكورنيش هوا بحره هي.

ووحدتي وإيديا اللي في جيوبي هي هي...

وكل اللي اتمنيته بس.. إني ماشوفهاش في اللحظة دي، كل إنسان

وجواه طاقة وكل طاقة وليها قوتها وأنا الشخص اللي بقى محتاج طاقة تتولد من أمل مفيش منه أمل...

رجعت البيت تاني بلا حلول أو إجابات، غمضت عيني واتمنيت إن ديسمبر يكون بينتهي وأنا أكون كل ده بحلم بس اكتشفت إنه لسه بيبتدي، مسكت ورقة وقلم وبدأت أكتب، أكتب عن كل لحظات خيبات الأمل، كل مرة شوفتها فيها وحسيت ساعتها إني مش عايز حاجة تانية من العالم وعن اليوم اللي قررت هي فيه تمشي وماترجعليش تاني، يمكن الكتابة مفيهاش حلول ولكن على الأقل هتبقى فضفضة ..

وأنا مش طماع..

هكتفي جدًّا بالفضفضة حتى ولو مع نفسي..

وهدعي دايمًا إني أبقى أقوى..

وإني أبقى أحسن .... كل ما يرجع ديسمبر

المحطة ٦

الحنين هو المرض الوحيد الذي لم يخلق له الأطباء علاجًا بعد، الحنين هو الشيء الوحيد الذي كلما هربت منه وجد دائمًا طريقًا لقلبي وروحي وحياتي بأكملها، الحنين يأتي بأشكال مختلفة، يأتي كذكريات ويأتي كأشخاص ويأتي أحيانًا كبدايات جديدة تعطيك كل شيء ثم تسلبك كل شيء في لحظات، وتلك البداية الجديدة لم تكن سوى مركب آخر استقللته ليأخذني لبلاد لا يشعر أهلها بأي شيء سوى الحنين والألم ولما قررت أن أهرب بمركبي من بلادها غرقت في بحر لا يعرف سوى الغرق.

الشتاء دايمًا مرتبط بحنين.

كل عامل مصاحب للشتاء هو صورة طبق الأصل منها ومن تفاصيلها..

بسبب سوء حظي المعتاد وغير الغريب تمامًا بالنسبالي، بدأ المطر ينزل فوق دماغي في اليوم اللي قررت أنزل أخلص فيه مشاويري من غير العربية، المطر بدأ ينزل بلا تمهيد وكأن السماء بتعاقبني على شيء مش عارف ايه هو تحديدًا، حاولت أوقف تاكسي أكتر من مرة بس ما كنش حد بيرضى يقف، كل واحد منهم كان بيغرقني بشوية مياه ويسيبني، بصيت حواليا لاقيت كافيه صغير شكله لطيف، معرفش ازاي عمري ما أخدت بالي منه رغم إني بقالي سنين بعدي من نفس الشارع ده، وبعدين الكافيه شكله مش جديد فا بالتالي استغربت أكتر، بس بعيدًا عن استغرابي قررت إني أدخل

أقعد جوه لحد ما المطرة تخلص.

المكان من جوه كان لطيف، ترابيزات قليلة وبارمان بشوش ضحكلي أول ما دخلت وقالي إن في ترابيزة فاضية في آخر الكافيه وسألني أحب أشرب ايه فا طلبت منه قهوة تركي إلا أن ابتسملي وقال بكل بساطة:

- ايه رأيك تشرب حاجة تدفيك بدل القهوة؟

ابتسمتله وهزيت راسي بإني موافق وروحت على مكاني اللي كان جوايا شعوري إنه هيبقى مكاني لوقت طويل بعد كده، كنت بتفقد كل جزء من الكافيه بعيوني، لوح هاند مايد وبراويز صور لأشخاص من زمن الأبيض والأسود وعلى الحيطة برضو كان في نتيجة سنوية بتشير لتاريخ النهاردة، الشتاء أعلن عن وصوله للأسف، بعد دقايق قليلة قرب البارمان مني وفي إيده ماج خارج منه ريحة جميلة، ريحة هي مزيج من الفانيليا والكراميل وقالي إن ده مشروب الكافيه الخاص وإنه مناسب جدًّا للوقت ده من السنة، مشروب ريحته فكرتني بحضنها وضحكتها وحياتي معاها زمان.

سألت نفسي يا ترى المشروب ده مناسب للوقت ده من السنة بسبب برودته ولا بسبب طاقة الحنين اللي خارجة من كل حاجة بحسها في الفترة دي من السنة، ولكني اكتفيت بإني أشرب من غير تفكير أو أسئلة كتير، عدد ترابيزات المكان تسعة، حوارات تميل للهدوء والبساطة والضحكات الخافتة واللي مشترك بينهم كلهم عنصر الألفة، مكانش في حد في المكان

قاعد لوحده غيري، حسيت ساعتها بخنقة من فكرة إني وحيد في عالم كبير زي ده، وحتى على صعيد أصغر فا أنا حتى وحيد في المكان الصغير ده، أنا وحيد في كل مكان للأسف..

في ركن من أركان الكافيه كان في راديو قديم خارج منه مزيكا قديمة، بيانو حزين شبهي تمامًا، كان لصوته سحر غريب وهو ممتزج بصوت المطر اللي جاي من الشارع بره، المزيكا فكرتني فورًا بيها، حنين، الحكاية الوحيدة اللي اتمنيتها تكمل، الأمنية الوحيدة اللي اتمنيتها وماتحققتش لسبب عمري ما عرفته لحد دلوقتي.

- أنا في حياتي اتعلقت بناس كتير بس أنا فعلًا عمري ما حبيت حد زي ما حبيتك يا حنين.. كنت دايمًا بلاقيكي في كل الأوقات اللي عمري ما لقيت فيها نفسي..

- هتفضل تحبني يعني؟مش هتزهق مني؟

- الواحد ممكن يزهق من حاجة أو اتنين.. بس مفيش حد بيزهق من كل حاجة.. وانتي بالنسبالي كل حاجة..

- ماترجعش بس تقول ندمت ووحشتني عيشة الحرية.

- ومين اللي قالك إن حبك مش حرية؟ يا حنين أنا عمري ما عرفت يعني ايه واحد يكون مبسوط غير أما دخلتي حياتي..

على قد ما بحب الشتاء على قد ما بدايته دايمًا مرتبطة بيها وده اللي

بيخوفني وبيخليني أتمنى شهور الحرب الباردة اللي بتحصل كل سنة جوه روحي تخلص أوامم عشان بس أعرف أرجع تاني كويس، حتى لو كوني كويس مش كويس تمامًا إلا إن الكويس من غير عوامل مساعدة أحسن من الكويس اللي بييجي معاه ذكريات وحنين لحنين.

بعد شوية المطرة وقفت، ناديت على البارمان وحاسبته، ضحكلي وسألني لو كنت هاجي تاني وطبعًا جوابته بالإيجاب على شرط إن كل مرة هاجي فيها يعملي مشروبه السحري ده، قالي إني زي ما أنا قررت أستغنى النهاردة عن إني أشرب قهوة وأستبدلها بشيء تاني اكتشفت إنه أجمل، هبقى بالتالي قادر أستغنى عن مكاني المفضل وأستبدله بالكافيه ده، بيني وبين نفسي قولت إن وبالتالي هبقى قادر أستغنى عن حكاية قديمة خدت من روحي ما يكفي مع الوقت ويبقى في احتمال ولو بسيط إني أبدأ في يوم من الأيام شتاء خالي من الحنين ومن حنين...

المحطة ٧

لماذا لا نواجه أنفسنا ونعترف أن قلوبنا تتحمل الكثير، تتحطم مرارًا وتكرارًا ولا تصرخ وإن صرخت لا نسمع لها صوتًا، قلوبنا تحترق ولا تشتعل، تموت ولا تتوقف عن النبض، ولذلك في حياتنا ورحلتنا في البحث عن الحب، علينا أن نتريث للحظات ونفكر في قيمة قلوبنا، نهدأ ونعيد ترتيب أولوياتنا ونضع قلوبنا في تلك الأولويات ولو لمرة واحدة في العمر، مرة واحدة ستكفي..

ازيك؟

في سؤال دايمًا بيدور في عقلي من سنين وإجابته اتأخرت كتير لحد ما وصلتني واستوعبتها..

الأحسن إننا نعيش مبسوطين ولا نعيش مرتاحين؟

زمان كنت بشوف إن السعادة حاجة مفيش بديل عنها، مهما كانت الظروف وكواليس الحكاية بيبقى أحسن إننا نكون مبسوطين عن إننا نبقى أي حاجة تانية، بيبقى أحسن إننا نفضل عايشين القصة بكل عيوبها لمجرد إننا بنيجي في آخر اليوم نقول "في حد بيحبنا وعايز يكمل معانا حياتنا" بس بعد سنين كتير اكتشفت إن في حاجة اسمها سعادة مزيفة، سعادة بلا روح وبلا حياة، سعادة عليها فيلتر شبه الفيلتر اللي بنتصور بيه وبيداري أي عيوب مش حابين نظهرها.

واللي وصلتله في النهاية إن حقيقي الأهم من السعادة هي الراحة، مفيش مشكلة لو عيشت سنين لوحدي، عايش في رتابة الروتين والشغل وبواجه كل يوم وأنا لوحدي، من غير ما يكون عندي حد أكلمه آخر اليوم أشكيله همومي أو أشاركه فرحتي على إني أعيش في حكاية مش حقيقية بتاخد مني كل يوم راحتي وسلامي النفسي.

ازيك؟

سيبك من فلسفتي المعتادة اللي بوجع بيها دماغك دايمًا وخلينا فيكي انتي، الحياة في البعد شكلها عامل ازاي؟ هل بتعيشي حياة شبه حياتي، بتمنى تكون حياتك أفضل، بتمنى إني ماكونش باجي في بالك ١٠٠ مرة في اليوم، بحس ساعات إن راسي عاملة زي لوكيشن فيلم والمخرج مصمم على مشاهد فلاش باك تتعاد بحذافيرها كل يوم لمجرد التأكيد على الألم وتثبيت ذكريات هي في الأساس متثبتة ومش محتاجة أي تأكيد لفظي أو معنوي عشان أفتكرها.

ساعات كده" والساعات دي ممكن تبقى كل يوم يعني" بدخل أشوف آخر تطورات حياتك، وأبدأ أعمل مقارنة بين زمان ودلوقتي، مقارنة قد تبان سطحية ولكن مهمة جدًّا بالنسبالي، هل شكل ضحكتك في الصور لسه حقيقي ولا بتحاولي بس تباني أجمل أو أقوى؟ هل لسه بتعملي شير لنفس الأغاني الهادية البسيطة اللي تشبهلك ولا بدلتيها بأغاني فيها تمرد حتى وإن كانت مش شبهك ولا فيها من روحك؟ لسه بتحبي تنزلي الصبح تروحي

...

تتمشي في شوارع الزمالك وتتصوري وسط الشجر وتنهي يومك ببولة آيس كريم قهوة وفانيلا ولا بقيتي بتفضلي الخروجات المليئة بالصخب والدوشة والمزيكا غير الملائمة تمامًا لروحك؟ كان نفسي يوم ما تتمردي ماتتمرديش على نفسك وطبيعتك.

ازيك؟

بمناسبة الأغاني والتفاصيل الصغيرة، من كام يوم سمعت أغنية قديمة لحميد الشاعري ماكنتش سمعتها قبل كده، الأغنية كلامها كان بيقول "احكيلي عن صبية خليت معاها فؤادي، من صغري أنا وهي شربنا نبع الوادي.. احكيلي مهما كان.. فرقنا هالزمان وبقيت في النسيان". غريبة أوي الحاجات اللي بتقدر بلا أي مجهود تفكرنا بناس بنحبهم، وكأن الأغاني عندها سحر في إعادة حاجات فاتت وكنا فاكرينها اتنست من سذاجتنا، وفي الآخر النهاية إنك بتوحشيني، بتوحشيني وبس.

خلاصة القصة إني اخترت ورغم كل حاجة، إني أبقى مرتاح على إني أبقى مبسوط، اخترت إني ماكونش معاكي في سبيل إني أبقى قادر أتعايش مع نفسي بلا أي منغصات أو حنين، اخترت الراحة على إني أعيش بنص راحة ونص روح، طبعًا بتوحشيني وبقعد في سكوني بالساعات بحكي مع نفسي عنك، بقعد بالساعات أسأل نفسي أسئلة ملهاش عندي أي إجابة يمكن في يوم ألاقي طريق أو حل أو راحة..

المحطة ٨

لماذا نفترض أن البشر يجب عليهم أن يشعروا نفس شعورنا؟ لماذا يجب أن يتحطموا كما نتحطم ويموتوا كما نموت؟ لماذا لا نترك الماضي للماضي؟ نترك ديسمبر لحاله ونبدأ في التكيف مع أهمية الربيع حتى وإن كان خاليًا من ذكريات الحب والحنين، لماذا لا نستوعب أن النهاية هي حقًّا نهاية وليست محاولة جديدة لنسحق بها مشاعرنا من جديد.

الجو بدأ يظهر فيه ملامح الشتا..

ملامح الذكريات اللي بنفضل طول السنة نتجنبها..

ملامح مزيكا مابتتسمعش غير في الوقت ده من السنة..

وعلى قد ما الشتا حلو على قد ما هو مرهق ومؤلم..

جيتي على بالي النهاردة الصبح وأنا بعمل قهوتي..

مسكت تليفوني وشغلت البلاي ليست بتاعتك، بتاعتنا سابقا..

كل تراك منهم بيفكرني بيوم، بخناقة، بحضن أو وعد أصبح بالتدريج فعل ماضي..

طبعًا القهوة فارت في عز توهاني مع المزيكا واترمت زي ما هي في الحوض.

والغريبة إن منظر القهوة وهي بتترمي خلاني بشكل ما زعلان، بزعل على الحاجات اللي بتضيع هباء .. زي حبنا كده بالظبط..

عرفت مع الوقت إنك غيرتي شكل حياتك بالكامل، بطلتي تروحي الأماكن القديمة كلها، افتكرت كتير إنك هتقعي في يوم قدامي عن طريق الصدفة بس الحظ ماحالفنيش ولا مرة..

فقدت جزء كبير من شخصيتي الحالمة مع الوقت، أصبحت شخص عملي إلى حد كبير، بارد مش بيحط المشاعر في مرتبة عالية زي زمان..

أعتقد كده أريح، كل ما التوقعات بتبقى أقل بنبقى أحسن..

حتى تربية الكلاب بطلتها بسبب خوف سخيف من التعلق ..

طبعًا الفضل في ده يرجعلك..

اليوم زمان كان بيخلص أوام لوجودك فيه، دلوقتي الأيام بقت زي الحجر بتحتاج زق كتير عشان بس تتحرك خطوتين، الأشياء في غيابك أصبحت بلا بريق مهما حاولت أستخدم كل سبل اللمعان ولكن بلا جدوى..

الشتا بيقرب والحزن توقيته السنوي كمان بيقرب، الصيف مريع ولكنه خالي من الذكريات الحافظة، خالي من الاكتراث وخالي من السهر الممتزج بالتفكير..

مؤلم إنك تدي كل حاجة لأكتر حد حبيته وماحبكش..

يمكن لو كنتي رفضتيني من البداية كان الوجع بقى أهون..

كنت نسيت..

كنت اتحسنت..

كنت عرفت أكمل..

قلبي أصبح حرفيًا أنتيكا في بيتك، مجرد روح متعلقة على رفِّك بلا قيمة وبلا أهمية..

قفلت شباك المطبخ وأنا بسد الهوا بكل قوة وكأني بسد الحنين من إنه يتسلل لجوايا ..

عملت قهوة جديدة لحقتها قبل الفوران..

بصيت من الشباك أشوف كل الأشخاص اللي لسه عندهم أمل في بكرة وأنا بسمع أغنية كل ده كان ليه...

المحطة ٩

أنا وباء دمر كل من حوله بغبائه، أنا السيئ في روايتي ورواية كل من أحببت، صبَّار زُرعَ في حديقة مليئة بالورد، لا أقترب إلا لأشيع الخراب في قلوب من أحببت، هكذا يراني الجميع، لم يفهمني أحد ولم يحاول أحد أن يقترب من روحي ولو لمرة. ألا أستحق منهم الحب؟ ألا أستحق أن يحبني أحد كما أنا؟ أم كتب عليَّ الوحدة والشقاء طوال حياتي ورحلتي المفعمة بالشقاء؟

الزمان: زي اليومين دول من ييجي ٥- ٦ سنين.

المكان: جوه البيت على الكنبة البني.

سابتلي فويس نوت طويل قبل ما تعملي بلوك وتختفي تمامًا، الفويس نوت كان تقريبًا ١٠ دقايق، وماكنش وقتها في خاصية تسريع الكلام كنت اختصرت على نفسي كلام كتير ماقدرتش بعد كل السنين دي إني أنساه..

قبل الفويس نوت دي بيومين كان في خناقة طويلة، ملخصها كان..

- أنت مابقتش بتحبني ..

- كل مرة تحاولي تهربي من غلطك تقولي إني مش بحبك.. بقى هو ده المهرب.

- لا مش بهرب ومش بقول أي كلام.. كل حاجة بتحصل هي اللي

بتثبت ده.

- كل حاجة اللي هي زعلك وعصبيتك على كل صغيرة وكبيرة؟ إنك خلاص بقيتي مش عايزة تعملي غير اللي في دماغك وبس؟ ولا عشان أنا مش بتكلم !!

- نفسي تتكلم وتتخانق وتقول.. بس أنت بقيت بارد بشكل غريب..بقيت بخاف من برودك.

- انتي عمرك ما هتبقي راضية.. عشان عمر ما في حل كان بيرضكي ..

ملخص الفويس نوت كان شرح وافي منها لكل الحاجات اللي خليتها مش قادرة تكمل زي إني بقيت عصبي بشكل إوفر، إني بحب أمشي اللي في دماغي وبس وإني بقيت بتخانق على كل صغيرة وكبيرة ده غير طبعًا الليستة المعدة مسبقًا لمثل تلك الحالات واللي بتشمل إني عنيد لدرجة مخيفة، إني بضيع عمري بين الورق ولازم أبدأ أشوف الحياة على حقيقتها ولو مرة وطبعًا إني بقيت شخص بيحب نفسه جدًّا رغم إن في نفس الفويس نوت تم التأكيد على جملة «أنت حتى مابقتش عارف تحب نفسك»..طب أنا مين فيهم؟

سمعت الفويس نوت مرتين وأنا في إيدي ورقة وقلم قاعد بكتب كل الحاجات اللي بتوصف بيها يمكن فعلًا أكتشف نفسي من أول وجديد، يمكن أشوف نفسي في المراية زي ما بيقولوا، ويادوب لسه هدخل سريري

عشان أبدأ فقرة الأغاني الحزينة المناسبة جدًّا للفراق لقيتها شالت البلوك عشان تبعت بسرعة فويس نوت تانية وتعملي بعدها بلوك مرة أخرى، الفويس النوت التانية كانت على شكل نصايح، قررت إنها تلعب معايا لعبة الدكتور النفسي أو خبير التنمية البشرية، قالتلي إني محتاج أغير شكل حياتي بالكامل .. قالتلي إني محتاج أروح لحد يسمعني، قالتلي إني لازم أعرف ازاي أفهم اللي قدامي من غير ولا كلمة، مش عارف وقتها كانت متخيلاني ساحر مثلًا؟ طلبت مني إني أكون شخص «بيعيش على أرض الواقع» وفي الآخر طلبت مني الطلب الأشهر في كل حواديت الفراق واللي هي «لو بتحبني خلي بالك على نفسك»...

الفراق مش لطيف، بقيت كل ليلة بشوف ايه اللي اتغير في شكل يومي من ساعة فراقنا واللي طبعًا بدأ بإني مابقتش بشحن رصيد زي الأول، بقيت بقفش نفسي وأنا بتفرج على الحبِّيبة في الشارع وإني بقيت شخص مش بيسمع غير أغاني حزينة لمطربين صوتهم في حد ذاته حزين وعلى رأسهم بهاء سلطان، تامر عاشور ومحمد فؤاد «ماكنش في وقتها أحمد كامل «..

بقيت بعمل كل الحاجات اللي بحبها لوحدي، الاتنين فشار بتوع السينما بقوا واحد، الاتنين عصير بقوا واحد وحتى الضحكة بقت واحدة مش ممزوجة بصوت ضحكتها، بقيت بقعد أشخبط بدل ما بكتب كلام ليه معنى، بقيت بسهر مع صحابي للصبح في القهوة نلعب بلاي ستيشن أو كوتشينة وانضميت لشلة السناجل بلا تمهيد، أصبحت أقرب للمجاذيب في

تفاصيلي وشكلي، مابقتش بضحك، بقيت بتحاشى أروح الزمالك وبقيت أتحاشى أعيش، لأن مفيش حياة من غيرها...

بقيت بسهر أسمع أسامة منير وفي مرة فكرت إني أكلمه بس تراجعت في اللحظة الأخيرة، بقيت بشوف الحاجات الحلوة بهتانة لمجرد إنها مش موجودة في تفاصيل يومي، أصبحت شخص مخيف من كل النواحي، بحاول أوصلها بس مش بعرف، بحاول أكلمها بس مش بعرف، كل اللي بقدر أعمله إني أكتب، يمكن ألاقي في الحكي حل وأقدر أرجع من تاني للبداية ولأصل الحدوتة زمان...

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقَش

المحطة ١٠

هذه الرسالة لِك أنتِ، ابتسمي، ارتدي أجملَ فساتينك واحتسي قهوتك المفضلة في مكانك المفضل دون الاكتراث للوحدة، دون الاكتراث لمن آذوكِ يومًا، أنتِ تستحقين السعادة، تستحقين الاهتمام، وأن تبدأي حياتك من جديد بقوانينك الخاصة والتي تتناسب تمامًا مع ما سيجعلك الأسعد والأجمل دومًا.

صباحك جميل زي بداية كل يوم..

صباح يشبه ضحكتك اللي تقريبًا نسيتي شكلها..

الفترة اللي فاتت أيامك بتتعاد بشكل ممل ورتيب، زي أغنية مظبوطة على خاصية ال repeat، كل ما بتخلص بتتغنى تاني من الأول..

كل ما بتمسكي تليفونك بتلاقي رسايل كتير من صحابك، كلهم زعلانين من اختفائك، كلهم نفسهم يشوفوكي، كل ما بتمسكي تليفونك بتحسي إنك متغيبة عن العالم بكل تفاصيله وزحمته..

كل الناس اللي حواليكي دايمًا بينصحوكي نفس النصايح المتعادة واللي جملها تشبه «لازم تخرجي يا بنتي»، «هتفضلي قاعدة في البيت لحد امتى» و«ماتزعيش على حد»، بيتعاملوا معاكي زي اللي بيتعامل مع روبوت بجهاز تحكم، فاكرين إن بزرار واحد حياتك هتتصلح..

مابتتكسفيش أبدًا تقولي إنك بتحبي وحدتك، بتحبي فكرة اختيارك كل ليلة لفيلم جديد واللي في الأغلب بتنامي وانتي بتتفرجي عليه، بتطلبي دايمًا بيتزا بس نادرًا ما بتكملي نصها، فاشلة جدًّا في عمل الفشار وبتحرقيه في كل محاولة، وبقت الأفلام الكئيبة هي ملاذك وعشقك الجديد.

بقيتي بتتعاملي مع الناس والشارع على إنهم عالم منفصل عن العالم بتاعك اللي هو بيتك، بيتك اللي بقيتي مش بتحبي تخرجي منه إلا نادرًا، بيتك اللي بقى أشبه بقلعة من كتر المخدات اللي بتحاوطي بيها نفسك وكأنك بتحمي نفسك من خطر قريب أو قديم..

لما بتزهقي من الأفلام بتقرري تفتشي شوية جوه العالم الافتراضي اللي عايشة فيه كل الناس اللي تعرفيهم، صور وفيديوهات وضحك وسهر وتفاصيل مش حقيقية لناس أصبحوا مع الوقت شبه حياتهم.. غير حقيقين تمامًا، بتدخلي على بروفايله وتبدأي تشوفي صوره مع صحابه ومع حبيبته الجديدة اللي اختارها وفضّلها عليكي، بتشوفي ضحكته وبتهرب من عينك دمعة بتلحقي نفسك وتمسحيها أوام..

كل الناس بقوا شايفينك منعزلة وبهتانة رغم اعتقادك التام إن الألوان البهتانة في النهاية.. ألوان..

لما بتحسي إن ريحة الشارع وحشتك بتعرفي امتى تختاري التوقيت

المناسب للهروب من العالم، الصبح بدري قبل ما الناس تصحى من النوم بتخطفي وقت لنفسك وترجعي من تاني تستخبي في صومعتك.

أنا عارف إنك مجروحة وإن حياتك في الفترة دي مش في أفضل حالتها، عارف إن عندك خوف من بدايات جديدة قد تصبح مؤلمة، عارف إن الخذلان طعمه مر ومخيف، بس اللي برضو عارفه، إنك قوية، وإنك بعد ما الحزن ياخد وقته في الزوال من روحك، هترجعي من تاني تطيري وتضحكي وتخلي كل اللي بعد عنك يندم مليون مرة على فراقك.

المحطة ١١

عندما نقابل حبُ حياتنا يتوقف الزمن، ندرك في تلك اللحظة بأن حياتنا ستتغير إلى الأبد، ندرك بأننا كنا نعيش لسنوات طويلة نبحث عن شيء ما، شيءٍ نجهله، شيء نحبه ولا نفهمه، عندما نقابل حبُ حياتنا ندرك وقتها فقط أننا لم نعرف الحياة قط قبل تلك اللحظة، نبتسم إلى القدر الذي منحنا أخيرًا سبب حقيقي لكي نعيش لأجله الآن وطوال حياتنا القادمة.

هو :

اتعودت أشوفها هنا في المكتبة كل أسبوع أو اتنين في نفس التوقيت، ببقى قاعد على جنب دايمًا وفي إيدي كراستي وقلمي وبراقبها من بعيد، كنت بشوف دايمًا في عيونها عشق غريب للكتب وخصوصًا الروايات، كانت دايمًا بتدور على الكتب اللي مش واخدة شهرة كبيرة، الكتب الحلوة اللي ماخدتش حقها في دوشة الأكثر مبيعًا ورقم الطبعة، كان دايمًا بيشدها اسم الكتاب وتقعد تتفحص الورق وفي الأخر تروح لعم حسن صاحب المكتبة تديله تمن الرواية وتمشي، وكل اللي كنت بتمناه إني أعرف اسمها.

هي:

كل ما بدخل مكتبة عم حسن بشوف الجدع إياه بيبص عليا من ورا كراسته وقال يعني هو كده مستخبي، عينه مش بتنزل من عليا كأنه بيكتب عني في دفتره ده، يمكن في الأول كنت بستغربه بس دلوقتي بقيت بحسه

جزء من المكتبة، يعني زي ما عيوني بتدور وسط الرفوف على كتاب ياخدني في رحلة معاه بقيت كمان بحس إن في حاجة ناقصة لو جيت في يوم وهو ماكنش موجود، شعره الكيرلي ونضارته بيخطفوني زي الحكاوي اللي جوه الكتب بالظبط، وبسأل نفسي دايمًا امتى الأستاذ ده هيتلحلح وبيجي يقول ولو مرة «صباح الخير».

هو:

«صباح الخير!»، مش عايز منها أكتر من كده، دايمًا في كل مرة بشوفها بتمنى لو بس تبتسملي وأضحك لها أو على الأقل نعيد إحياء المشهد الأشهر في السينما ونخبط في بعض وحاجتنا تقع من إيدنا ونقوم نازلين وضاحكين لبعض وتبدأ بقى قصة الحب الأسطورية مع عاشقة الكتب القمر دي، الشهور بتفوت وأنا نفسي بس حتى أعرف اسمها ايه.

هي:

ايه اللي يخلي أخينا ده عايش معتكف كده في المكتبة؟معقول مايكنش وراه حاجة غير إنه بييجي يستناني مثلًا؟ أصل أنا مش زبيدة ثروت عشان يفضل يبحلق في عيوني المتبحلقة مسبقًا في الكتب وحواديتها، مش يمكن يطلع الجدع ده قاتل متسلسل ويكون ضحاياه هم محبي الكتب والروايات؟ لا أنا كده خيالي خدني بعيد حبتين تلاتة، لازم أرجع لأرض الواقع شوية وأبطل أفكر بالحماس ده.

هو:

المرة اللي جاية لما أشوفها هقوم أتعرف عليها، ما هي أكيد لو بتلاحظ مراقبتي ليها يمكن تقول إني مختل مثلًا، يمكن تقول إني جبان ومش قد إني أملك قلبها، ويمكن لو اتكلمت معاها تحرجني أو تبقى أصلًا مرتبطة، كلمة «يمكن» دي عاملة زي القفص وأنا يا أفضل جواه يا أكسره وأقول اللي جوايا.

هي:

النهاردة روحت المكتبة كعادتي، لقيت عم حسن بيشاورلي واداني رواية اسمها كوابيس قبل النوم وقال:

- الكتاب ده هدية ليكي.

- ليا أنا؟ من مين؟

لقيته بيشاورلي على المكان اللي بيقعد فيه الشاب أبو نضارة كل مرة بس النهاردة ماكنش موجود، فتحت الكتاب لقيته كاتبلي على أول صفحة.

«للبنوتة اللي مش عارف اسمها بس عارف إني عايز أكمل حياتي معاها لسبب خفي لا يعلمه إلا الله، بهديكي صفحة ٦٢ من الرواية دي»، الصفحة كان مكتوب فيها :

«أنا عمري ما اتخيلت إني يكون ليا زي الناس حبيبة، سميه خوف أو

سميه هروب، نسميه إني معقد من الحواديت اللي ياما سمعت عنها. ورغم إني ماكنتش عارف أنا ماشي وطريقي موديني لفين لقيت نفسي بعد شوية وقت بأمشي ليكي انتي وكأنك كان معاكي مفتاحي من قبل حتى ما أقابلك. بحب روحك يعني لما تكبري ويتغير شكلك وتفاصيلك هعشقك بعدد السنين اللي عيشتها معاكي والسنين اللي عيشتها أتمناكي».

بصيت ورايا، كان هو واقف ورايا وفي ايده الكراسة اللي كنت دايمًا بشوفه ماسكها وقال ..

هو:

كتبتلك في الكراسة دي إحساسي في كل مرة كنت بشوفك فيها، وصفي ليكي ولكل تفصيلة فيكي من أول مرة قابلتك فيها وخطفتي فيها قلبي، أنا يمكن لسه مش عارف اسمك بس عارف ومتأكد إني عايز أكمل باقي عمري معاكي...

2575565132

المحطة ١٢

هل يمكننا أن نعود بالزمن لتصحيح ما دمرناه؟ بالطبع لا ولكن كلنا نستحق فرصة أخرى، كلنا نستحق أن نعيد ترتيب حياتنا وتصحيح مسار طريقنا، كلنا نستحق أن نُشفى من المرض الذي يستوطن قلوبنا ونأخذ الوقت المناسب كي يلتئم جرح الماضي، فقط لنقف على أقدامنا مرة أخرى ونبدأ من جديد الحياة التي تمنيناها في وقت سابق، لم يكن مناسب تمامًا حينها.

كل حاجة بتخلص.

كل حاجة في المطلق ليها نهاية.

الحواديت والأفكار وحاجات تانية كتير.

ايه اللي ممكن يخلي حكاية تعيش للأبد؟

إصرارنا وتمسكنا بالحكاية للدرجة اللي تخلينا مستعدين نعمل أي حاجة عشان القصة دي تكمل وتعيش..

في قطر ٨ الصبح، قعدت فريدة في كرسي فردي جنب الشباك بتبص بهدوء على محطة مصر وهي بتشرب آخر رشفة من فنجان قهوتها، رفعت فريدة عينها وهي بتبتسم لعمرو اللي كان بيتأملها وعلى وشه شبح ابتسامة، حطت الفنجان الفاضي جنبها وضحكتله وهي بتقول:

- هتفضل تتفرج عليا الطريق كله؟ ده القطر لسه متحركش.

- بحب أتفرج عليكي أوي، بحب شكلك وانتي بتشربي القهوة، حلو الكتاب ده؟

مسكت فريدة الكتاب اللي على رجلها وناولته لعمرو وقالت:

- دي قصة حب وأنا عارفة إنك مش غاوي النوع ده من الكتب.

- ماعنديش مشكلة مع الروايات دي بس مابحبش القصص البهتانة.

- بهتانة بمعنى؟

- اللي تشبه حواديت الولد اللي قابل بنت وحبوا بعض وبعدين عاشوا في تبات ونبات، الحواديت اللي عاملة زي قصص ديزني كده.

- طب والله ما في أحلى من حواديت ديزني.

ابتسم عمرو وبدأ يتأمل الشوارع والحقول من شباك القطر في صمت..

- عمرو أنت كويس؟

- تمام، بقالي كتير بس ماركبتش القطر، السفر بالعربية بيضيع عليا متعة السرحان في الطريق وتفاصيله.

- أنت اللي بقيت غاوي السفر بالعربية عشان تلحق دايمًا مواعيدك، فين عمرو بتاع زمان اللي كان دايمًا يقول المتعة في الرحلة مش في الوصول.

- حاجات كتير أوي اتغيرت يا فريدة.

- زي ايه؟

- زيك انتي مثلا، الكام سنة اللي فاتوا غيروكي وخلوكي حد تاني بتفاصيل جديدة.

- تفاصيل جديدة ازاي؟

- زي مثلا إنك لابسة فستان وانتي عمرك ما كنتي بتحبي الفساتين، زي إنك بقيتي بتقري كتب حب وانتي اللي طول عمرك بتحبي القصص البوليسية، تفاصيل صغيرة يمكن بس جديدة عليا منك..

- أعتقد إن الأساس فينا بيفضل زي ما هو، أنا مثلًا قدامك أهو رغم إني بعدت عنك سنين وسافرت وعشت تجارب مختلفة عن حياتي القديمة إلا إني أول ما حسيت إني فوقت من الدوامات دي كلها لقيت نفسي بكلمك وعايزة أشوفك ..

- مممم.

فضل عمرو باصص للشباك وهو بيكلم فريدة فا حست للحظة إنه مش مهتم بكلامها فا قالتله بصوت أعلى:

- ممكن تبصلي ولا المنظر من الشباك أهم؟

ابتسم عمرو وبص لفريدة في عينها وقال بهدوء

- عايزة ايه يا فريدة؟

- عايزاك تقولي اللي جواك، قول إنك زعلان، قول إنك كاره فكرة بعدي وإني وجعتك، عاتبني حتى بس ماتفضلش تتجاهل كلامك معايا وشاركني كل اللي بيدور جواك.

- فريدة انتي كلمتيني بعد سنين كتير فراق، بعد ما سافرتي وحبيتي وجربتي حكاية جديدة مع شخص جديد واكتشفتي نفسك من أول وجديد زي ما قولتيلي يوم ما كلمتيني، مستنية مني إني مجرد ما أشوفك أطير من السعادة وأنسى؟

- عايزاك تسامحني..

- ساعات بنحتاج شوية وقت عشان نبدأ نشوف النور من تاني في وسط العتمة.

- فعلًا كان لازم تبقى كاتب.

- فريدة، انتي مهمة وغالية، بس أنا مش بزرار عشان بسهولة أرجع من تاني الشخص اللي حبيتيه زمان.

- الفترة اللي عيشتها بعيد عنك خلتني أكتشف أن الحب اللي افتكرت إنه ممكن يبقى لناس تانيين هو في النهاية حبك اللي هو أساسًا ملكك من البداية.

- نفسي أصدق.. ونفسي أقدر أسامح وأبدأ من جديد.

- خلينا نجرب.. ممكن؟

- هحاول..

مدت فريدة إيديها لعمرو وهي بتضحك وقالت:

- هاي.. أنا فريدة.

ضحك عمرو ومد إيده هو كمان وقال:

- هاي يا فريدة.. وأنا عمرو.

لحد ما القطر وصل محطة إسكندرية ماسبوش إيدين بعض

نسيوا الطريق وتفاصيله.

كان كل اللي في ذهنهم في الوقت ده.

حلم البدايات الجديدة...

المحطة ١٣

حينما ينتهي الكلام بين المحبين، ونستبدل مشاعرنا بأحزان لا تنتهي، يبدأ الضجر في التسلل إلى قلوبنا، يبدأ الألم والملل في الزحف كالأفعى، أفعى تنتظر اللحظة المناسبة لتفتك بنا وتقضي على الحب الذي بنيناه لسنوات، إن كنت تحبها لا تتركها، لا تستسلم ولا تترك للصمت بابًا ليدخل منه ويلتهم حبكما الذي هو حياتك بأسرها.

- ماتسيبهاش زعلانة..

بصيت على مصدر الصوت ولقيت راجل كبير بيبصلي وهو ساند على عصايته وبيضحكلي.

- حضرتك بتكلمني أنا؟

ضحك تاني وقال:

- اه.. حضرتي بيكلمك أنت وبقولك ماتسيبهاش زعلانة وصالحها.

- هي مين دي اللي أصالحها؟

بصلي الراجل باستنكار وهو مبتسم وقال:

- ما هو أنت مش هتنزل محطة السوبرجيت الساعة ٦ الصبح ومقرر إنك مسافر إلا لو متخانق خناقة كبيرة مع مراتك وعايز تبعد..أصل أنا ياما عملت الحركة دي..

- وحضرتك عرفت منين إني مش مسافر شغل مثلًا..

بعنيه اللي بتلمع واللي مليانة حكاوي السنين كمل كلامه وقال:

- أصل الحاجات دي الواحد بيحس بيها بشطارة خبرته في الدنيا.. يعني لو مسافر شغل كنت خدت معاك شنطة صغيرة ولو مسافر رحلة هيبقى معاك شنطة كبيرة.. وأنت لا معاك ده ولا ده.. أنت يادوب معاك خيبتك..

- طب ليه بس الغلط يا راجل يا طيب..

- زعلتك أوي كلمة خيبتك؟ طب ما أنا كمان خايب .. أنا سيبت كل حاجة حبيتها في يوم تضيع من ايدي بسبب عندي.. العند ده مرعب يابني.

- بس أنا مزعلتهاش.. أنا من كتر ما بحبها بقيت حافظها زي كف ايدي.. روتينها ممكن أسمعهولك عشان بس أثبتلك بحبها قد ايه..تحب أحكيلك؟

- الليل لسه طويل والسوبرجيت ميعاده لسه شوية عليه..

أخدت نفس عميق وابتديت أحكيله عني.. وعنها.

- أنا بحب سارة من زمان أوي وبحب جدًّا تفاصيلها البسيطة اللي مش شبه أي حد، بحب روقانها الصبح قبل ما تنزل وهي بتسمع دينا الوديدي، بحب فكرة إنها لازم تدي عم شوقي السايس كل يوم خمسة جنيه وهي بتسمع دعوته، بحب مزاجها في أغاني علي الحجار وعمرو دياب بتوع زمان

وهي سايقة ورايحة شغلها، بحب بساطتها في اختيارها لفطارها اليومي واللي بيتكون من عصير أناناس ومولتو بالجبنة، بحب لبسها الشيك رغم بساطته، بحب أسمعها وهي بتدندن «انتي اللي عارفة إني بحبك أكتر مني.. وانتي الوحيدة اللي في حبك حسيت بأمان»، حقيقي بحب كل تفصيلة فيها بشكل صعب الكلام يوصفه..

- ورغم كل ده قررت تسيب حب حياتك وتمشي؟ شايف إن وجودك هنا أحسن من وجودك جنبها في اللحظة دي؟

- تعبت من الخناق..

- أنا في يوم زمان قلت تعبت.. وندمت على استسلامي.. في يوم من الأيام كنت بستسهل هروبي من كل مشكلة وكل حاجة ممكن تضايقني، أقوم بسرعة ألم شنطتي وأنزل ومطرح ما رجلي تاخدني بقى.. كنت بسيب الخناقات والمشاكل تطول لأيام وساعات شهور وأنا مش حاسس إني بضيع من حياتنا مع بعض سنين وأنا مش واخد بالي.. عنيد وغبي.. لحد ما صحيت في يوم لقيت نفسي راجل عجوز وحداني.. معرفش كبرت امتى ولا أعرف ضيعت حبي امتى.. معرفش ليه كان سهل عليا الاستسلام والمكابرة في الغلط، أنا رغم حبي ليها كنت دايمًا مش بشوف نفسي غلطان.. يمكن بيني وبين نفسي بقول يا واد لم نفسك متزعلهاش وكفاية مكابرة.. بس لما النقاش بيخرج بره دماغي أرجع أقول أنا صح..

- وبعدين؟

- ما هي الحواديت لما بتبوخ بتخلص أوام أوام، زي الأغاني الرخمة كده بالظبط واللي مش بنسمعها غير مرتين تلاتة وشكرًا.. عندي زاد وماكنش في حاجة تتعمل غير إننا نسيب بعض، وقتها قلت إني مش فارق معايا وإني هبدأ حياتي من أول وجديد عادي جدًا، بس تصدق.. اكتشفت إن جمال تفاصيل حياتي أساس جمالها إنها موجودة معايا، تخيل إن وقفتي قدام البحر أصبحت ملهاش طعم.. السفر من غيرها بقى دمه تقيل زي الشوربة الساقعة.. حاولت كتير أتأقلم على فكرة عدم وجودها بس اكتشفت إني من غيرها بكون من غير هوية، وقتها بس بدأت أحاول أدور عليها وأكلمها وأعمل كل الحاجات اللي الحبيبة بيعملوها، كتبتلها جوابات كتير... كتير أوي.. بس عمري ما جالي رد على أي جواب منهم.. حاولت أعمل كل حاجة عشان أثبتلها إني اتغيرت وبطلت عند بس كان الوقت اتأخر.. ما أصل احنا لما بنسيب اللي بنحبه بعيد لوقت طويل بينسانا ويبطل يحبنا .. عشان كده يابني بقولك.. ماتسيبهاش زعلانة واتمسك أوي بحبكم..

- وحبك أنت؟ خلاص كده؟

كانت عيونه بدأت تحكي بداله.. وبكل الوجع اللي في الدنيا كمل كلامه وقال:

- بعد معافرة سنين كتير.. وافقت نادية تديني فرصة أثبت فيها إني فعلًا

اتغيرت.. كنا وقتها اتنين عواجيز.. ولمدة سنة بقيت بعملها كل حاجة ممكن تسعدها، كل يوم لازم أروّح وأنا معايا كيس غزل بنات، كل يوم جمعة لازم نروح نتفسح ولو حتى ننزل نشم شوية هوا، أنا حتى كنت باخدها السيما زي الحبيبة الصغيرين، وبعد سنة كان وقت الفراق الأخير.. وعلى قد وجعي على قد فرحتي أن آخر أيامها كانت معايا.. وفضلت أقول لنفسي كتير يا ريتني ما سيبتها تروح.. يا ريتني ماكنتش ضيعت كل السنين اللي فاتت دي..

- الله يرحمها ويجمعنا بكل اللي بنحبهم.. طب ينفع أسألك مسافر ليه في الوقت ده؟

- اتعودت كل شهر إني أسافر إسكندرية يوم واحد من أوله، أتمشى في الأماكن اللي هي بتحبها وأعيش كل لحظة من حياتي معاها وأدعيلها.. اتفضل بقى أنت روح صالحها..

- شكرًا على كلامك ووقتك.. هصالحها.. أوعدك.

وصل السوبرجيت وركب الراجل العجوز، بصلي من الشباك وضحكلي وهو بيقول:

- الأوقات اللي بنعيشها مع اللي بنحبهم أوقات غالية أوي.. خليك ناصح ومتفرطش في ثانية واحدة من الأوقات دي...

المحطة ١٤

الحب هو أن نتقبل من نحب كما هو، لا نتعامل مع من نحب كقطع من الصلصال، نحولهم مرة لكرة ومرة إلى مربع، الأشخاص ثابتون ومن الواجب أن نحب ثباتهم وهويتهم، لا تغير من تحب ولا حتى تحاول أن تغيره، تقَّبَلْه كما هو ولا تنظر إليه بعين الناقد، لا تفتح عينيك إلا إن كنت ستراه بعين المحب، بعين صادقة لا تتمنى لحبه سوى السعادة والراحة والأمان.

مروة كانت عكس علي في كل حاجة تقريبًا..

بس رغم كل الاختلاف كانوا دايمًا بيلاقوا طريق لقلب بعض..

كانوا بيعرفوا يتفقوا أو يلاقوا حل وسط، حل يكون مريح للطرفين..

الحاجة الوحيدة اللي عمرهم ما اتفقوا عليها هو حبها للكتب واعتقاده هو إن الكتب دي مش أكتر من كراكيب..

مروة حبها للكتب بدأ من سنين كتير، من وهي لسه عيلة صغيرة، يمكن يكون حبها للكتب هي أول قصة حب حقيقية حصلت في حياتها، كانت دايمًا بتلاقي في الكتب اللي يحرك مشاعرها، اللي يفرحها، اللي يخليها تفكر وتشغل دماغها واللي يخليها تحس إنها عايشة وتقدر في يوم تكتشف عوالم جديدة..

قبل الجواز اتكلموا كتير في الموضوع ده، هي عايزة جزء حجمه معقول،

مش صغير أوي عشان يكفي كل الكتب والروايات بتوعها، وهو رافض تمامًا الفكرة وشايف إن الرفوف أو المساحات الفاضية يقدروا يستغلوها في حتة أنتيك مثلًا أو كرسي شكله حلو، كان دايمًا بيقولها إن الكتب هتبوظ دماغها وإن العالم اللي هي عايشة فيه ده مش هينفعها، وإنها لازم تعيش على أرض الواقع شوية..

مروة ماكنتش شخصية عنيدة ولا بتحب الخناق، دايمًا كانت بتريح علي وتعمل اللي يفرحه، بس المرة دي كان رفضها قاطع وكلامها واضح، إن ببساطة هي والكتب بتوعها package وإنه لازم يحترم عشقها للكتب.

على مضض وبعد نقاشات كتير وافق على طلبها، قالها إنها تقدر تنقل في بيت الزوجية ١٠٠ كتاب مش أكتر، ورغم إن مكتبتها اللي في أوضتها فيها اكتر من ٢٠٠٠ كتاب ورواية إلا إنها وافقت، وفضلت ليالي بتختار ال١٠٠ كتاب بعناية، يمكن الوقت اللي خدته كان اكتر من الوقت اللي احتاجته عشان تختار فستان الفرح والقاعة، كانت حاسة إنها مكلفة بمهمة نقل ١٠٠ قطعة منها معاها لمكان جديد، قطع غالية ونفيسة ولازم تختار بالراحة..

بعد ما نقلوا العفش وفرشوا الشقة، وقفت مروة في أوضتها بتبص على ال١٠٠ كتاب اللي حضرتهم في علبة كبيرة وعلى كل الكتب التانية الحزنانين على رفوف مكتبتها الكبيرة واللي كان عندها يقين بإنهم حاسين بفراقها ليهم، وبعد تفكير كتير قررت إنها مش عايزة تخسر علي ولا عايزة

تخسر الكتب اللي روحها فيهم..

وبدأت تنقل الكتب بتوعها وتشيلهم في مخابئ مختلفة حسب احتياجها، ال١٠٠ الأهم في النور على الرفوف، شوية تحت الغسالة وشوية جوه الدولاب، شوية تحت المرتبة وشوية فوق التلاجة لحد ما نجحت في نقل ٦٠٠ كتاب بنجاح، وقررت إنها تدي لنفسها فرصة في حياتها مع علي تحت سقف واحد، وإن الوقت هو بس اللي هيخليها تقرر، هل حب علي قادر ينسيها شغفها ولا هترجع من تاني في يوم تعيش وسط الورق والحواديت..

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقَش

المحطة ١٥

أيغلبنا الشوق حقا كما قالت السيدة أم كلثوم أم أننا ننتصر في حروبنا أمام القلب أحيانًا؟ لماذا نكابر ونعاند أنفسنا ونتخيل أننا أقوى من الحنين؟ بعض القصص كتب عليها الفراق الإجباري الذي لا دخل لنا به، وقصص أخرى نكتب نحن نهاياتها ونصنع الفراق بأيدينا ثم نبكي على ما فعلنا واقترفنا، أنت كنت تحب وبيدك أن تعيد ترتيب حبك فلا تفكر مرتين، إن كنت تحب والحياة ما زالت تعطيك فرصها فلا تضيع تلك الفرص واستغلها جيّدًا لصالحك.

الجواب الأول:

«ازيك؟ شكلك عجبتك العيشة في فرنسا ونسيت كل حاجة هنا، أنا عارفة إننا بقالنا فترة مش بنتكلم بس ما كنش ينفع يعدي عيد ميلادك من غير ما أبعتلك وأقولك كل سنة وأنت طيب ويا رب تبقى كويس ومرتاح في حياتك الجديدة»..

***

الجواب التاني:

«كنت هزعل أوي لو اليوم كان خلص من غير ما تقوليلي كل سنة وأنت طيب، أنا آسف إني بعيد بس رتم الحياة هنا عامل زي السباق، انتي دايمًا في بالي وبفتكرك كل يوم في تفاصيل كتير، يمكن قريب أعرف أشوفك

وأحكيلك»..

***

الجواب التالت:

«من امتى كنت بنسى أي حاجة ليها علاقة بيك؟ عارفة إن رتم حياتك مش شبه حياتنا زمان، مبسوطة إني باجي على بالك.. مبسوطة إني لسه بعرف أسرق جزء من عقلك زي زمان».

***

الجواب الرابع:

«والقلب، بتعرفي تسرقي الاتنين.. لما بتمشي في الشوارع هنا بحس إني وحيد في عالم كبير مش بنتمي ليه بأي شكل من الأشكال، الغربة وحشة لمجرد إنك مش موجودة، أنا آسف إني بعدت.. آسف إن كل حاجة خلصت بسبب الفراق والبعد»..

***

الجواب الخامس:

«أنا عارفة إنك عملت كده عشاني، بس مين كان قالك إنك لما تسيبني أنا كده هبقى مرتاحة؟ مين قالك إن ممكن حد تاني يخطفني.. من كام يوم خرجت مع صحابي بتوع الجامعة وكانوا جايبين واحد صاحبهم على أساس

إنها صدفة والهبل ده.. كنت كل ما أبص عليه أشوف ضحكتك.. أنت ورايا ورايا ولا ايه؟»

***

الجواب السادس:

«الحال من بعضه.. من يومين كنت في المترو رايح مونمارتر ولاقيت بنت جنب بيت داليدا بتشاورلي، بصراحة كانت زي القمر.. وقفنا اتكلمنا شوية وقالتلي إنها زارت مصر قبل كده، معرفش ليه لقيتني بقولها إني لازم أمشي.. ليه كل حاجة بيبقى دايمًا فيها انتي؟ ليه مش بعرف أشوف غيرك؟ ليه أصلًا مفيش غيرك؟»

***

الجواب السابع:

«مش عايزة أبقى انانية بس أنا بجد نفسي ترجع، كل التفاصيل اللي ما بينا بتوحشني وأنت حتى غلاستك وحشتني.. لا الشتا بيكمل وأنت مش موجود ولا حتى الصيف بقى يبسط في غيابك.. كأنك مشيت وأخدت معاك الفصول كلها..»

***

الجواب التامن:

«لا هو كده كده الصيف ده مايبسطش حد. أما عن الشتا فا لو كده هفكر إني أرجع عشان أنا كمان وحشني شتا إسكندرية معاكي، الجري تحت المطر والبليلة من ياسمينا والسهر للصبح على كوبري ستانلي.. مفيش مكان قدر يبهرني قد إسكندرية ومفيش حد بيوحشني زيك».

***

الجواب التاسع:

«صدقني أنا والله كان كل اللي فارقلي النهاردة إني أقولك كل سنة وأنت طيب.. مش بكلمك عشان ألخبط لك حياتك ولا عشان أخليك تشيل هم فوق هم الغربة.. أنا بس بحس إني عطلانة ومش عارفة أعمل ايه لما أنت بتوحشني.. بحس إني قليلة الحيلة في غيابك.. طول عمرك أنت السند والقوة.. والأمان».

***

الجواب العاشر:

«وانتي طول عمرك السعادة اللي ماعرفتهاش مع حد تاني.. طول عمرك ضحكتي وفرحتي والدنيا اللي مش بتمنى غيرها.. كل حاجة بعيشها مهما كانت مبهرة وحلوة بس متساويش حضنك في وقت ضعف أو ضحكتك في أول كل يوم.. أوعدك إني هرجع.. أوعدك».

المحطة ١٦

لا يُظهر القدر وجهَه القاسي دومًا، للقدر وجه مبهج مليء بالتفاؤل، لكنه يظهره فقط حينما يريد، يظهره عندما يرى فيك سببًا كافيًا وحقيقيًّا لبداية جديدة تستحقها. ولأَنَّ رُبَّ صدفة خير من ألف ميعاد، يضعك القدر أحيانًا في موعد مع غريب طالما كنت تتمنى ظهوره ، غريبٌ حين يأتي قد ينتشلك من حياة بها الكثير من السكون والوحشة، ويعطيك القدرة الكافية لتمني حياة جديدة يستحقها القلب ويألفها القدر.

- فاضي خمس دقايق؟

قالتها البنت اللي قعدت على الكرسي اللي جنبي في الجنينة، استغربت من سؤالها في الحقيقة ده غير إني استغربت فكرة إنها اتكلمت معايا من الأساس، أنا بقعد في نفس الكرسي ده تقريبًا كل يوم بقالي سنين وماحدش كلمني في مرة ولا حتى سلم عليا بابتسامة، رفعت عيني من الكتاب اللي في إيدي وبصيت عليها، كانت تقريبًا في العشرينات، لابسة فستان أبيض وعليه جاكيت رمادي بتضحكلي وبصراحة مش هكدب، ضحكتها خلتني أسيب الكتاب وأنسى أنا فين لثواني..

- حضرتك بتكلميني أنا؟

- أنا مش شايفة أي حد تاني في الجنينة ممكن أكون بكلمه غيرك..

- تحت أمرك..

- عمرك حبيت؟

ضحكت بيني وبين نفسي، السؤال رغم غرابة صدوره من شخص غريب تمامًا عني إلا إني أول ما سمعت السؤال افتكرت السنين اللي عيشتها أحب الإنسانة الغلط والسنين اللي ضاعوا على حبها..

- انتي متعودة تسألي الناس السؤال ده بلا سابق معرفة؟ مش غريبة شوية؟

- أنا بشوفك في نفس المكان ده بقالي شهور.. في الأغلب أنت عمرك ما خدت بالك أصلًا من وجودي لأنك دايمًا بتبقى قاعد جوه الكتاب مش بتشيل عينك من جواه، عمري ما شوفت حد بيحب الكتب زيك كده..

- بس ايه علاقة ده بسؤالك؟

- أصلك دايمًا بتبقى بتقرأ كتاب رومانسي.. فا قولت أكيد الحب واخد وقتك وحياتك..

- وهو لو أنا الحب واخد وقتي هبقى قاعد ليل نهار في الجنينة دي لوحدي؟ ده يبقى حب غريب أوي ده..

- أو يمكن حبيبتك بعيدة؟

- لو تقصدي بكلمة بعيدة بأنها مابقتش موجودة في حياتي فا اه هي بعيدة..

- ندمان؟

- يمكن.. ويمكن لأ.

- بتوحشك؟

- شكلك جاية تقلبي عليا المواجع النهاردة، بس آه بتوحشني وبتوحشني كتير كمان بس انتي بعد شوية وقت بتلاقي نفسك عايشة مع الحزن، بتاكلوا وتشربوا مع بعض.. أنا فعليًا أكلت عيش وملح مع الحزن...

- طب ليه مارجعتوش لبعض طالما بتوحشك ولسه مسيطرة على حياتك بالشكل ده؟

- عشان ما ينفعش.. انتي عمرك حبيتي؟

- حبيت وكرهت.. وبقى عندي خوف من أي حاجة فيها كلمة مشاعر.

- يبقى أكيد هتفهمي معنى كلمة بحبها بس ماينفعش..

- اللي حبيته اتجوزني وعيشنا مع بعض سنين كتير، بس هو للأسف اتعامل مع الحب ده على إنه أمر واقع، كان فاكر إني هفضل أسامح لمجرد إني بقيت مراته وأم ابنه..

- احنا بنفضل نسامح لحد ما نكره عن اقتناع بلا أي ندم..

- حلوة الرواية اللي بتقراها دي؟

ضحكت من تاني بيني وبين نفسي، افتكرت إنك من أكبر الأسباب اللي

خليتني أحب الكتب، وإني لما كنت بحب أصالحك كنت بجيبلك كتاب، افتكرت قعدتنا في نفس الجنينة دي وأغاني أصالة والضحك اللي كان بيجيب آخر الشارع، في المكان ده ضحكنا وزعلنا وافترقنا، والرواية اللي بقراها النهاردة دي كانت آخر هدية منك..

- حلوة.. بس في روايات أحلى.

- آسفة لو عطلتك عن القراية.

- ولا يهمك.. الواحد أصله مش هيعيش عمره كله يكلم كتب بس.

- أنا ندى بالمناسبة.

- وأنا عمر.. لو جيتي ولقيتيني تاني ابقي صحيني من عالم الكتب.. العالم الحقيقي في حاجات حلوة الواحد ممكن يتغير عشانها..

المحطة ١٧

إذا أحببنا في يوم ما بصدق، لن نتمنى لمن أحببنا سوى الخير في حياتهم الجديدة، لن نتمنى لهم سوى بداية جديدة لحياة جديدة مع شخص قد يكون هو حقًّا العوض، نشتاق ونبكي ونندم ولكننا في النهاية لن نتذكر سوى الحلو من الذكريات، الأيام التي قضيناها سويًّا وشكلت حياتنا بالشكل الذي تمنيناه في الماضي، فإذا تذكرت فتذكر الأيام السعيدة، وارفع رأسك داعيًا بكل ما بداخلك حتى يتحقق.

ازيك؟

مش كل الذكريات بتحتاج حاجة تحصل عشان نفتكرها..

مش دايمًا الذكريات مرتبطة بزيارة مكان أو سماع جزء من أغنية..

بعض الذكريات بتفضل موجودة على طول الخط، بتمشي معاك كل خطوة بتمشيها، بتكبر كل ما بتكبر كأنها مخلوق من لحم ودم، وبيبقى الموضوع أسوأ لما الذكريات دي تبقى بتكبر بأنها بتتغذى عليك أنت شخصيا..

مش دايمًا الذكريات بتحتاج حاجة تصحيها زي مشاهد الأفلام اللي البطل فيها بيقابل حبيبته بعد فراق سنين وبيبصوا لبعض نظرة الحنين الشهيرة، ساعات الحنين ده بيفضل مصاحبنا طول حياتنا من أول ما بنصحى ولحد كمان بعد النوم في أحلامنا..

المهم سيبك من كل الكلام ده..

انتي عاملة ايه؟

حياتك وشغلك وراحة بالك كويسين؟

لسه بتسمعي أنغام أول ما بتصحي من النوم؟ لسه ما بتعرفيش تنامي غير على صوت مزيكا قديمة أو صوت المطر؟

انتي عارفة إني بقالي سنين ماعرفش حاجة عنك فا تلاقيني بحاول أتطمن من بعيد لبعيد، برسالة أو مكالمة لو ينفع..

الذكريات اللي بتكلم عنها هي طبعًا ذكرياتي معاكي، كونك انتي ده يخليني أفقد الأمل في أي نسيان سواء في وقت قريب أو بعيد، كونك انتي ده يخليني أبقى بتمنى بس إني مافكرش فيكي ولو لجزء بسيط من يومي، سحرك في الأغلب سحر أسود تأثيره مفعوله مش بيخلص مهما خلص من العمر سنين وساعات وسعادة..

لسه زي ما انتي ولا في حاجات فيكي اتغيرت؟

أنا فاهم طبعًا إن الوقت بيغير فا ما بالك بقى بخمس سنين، الخمس سنين دول يغيروا أي حد مليون مرة..

أتمنى إنك تكوني لسه محافظة على العادات اللي تشبهلك، صحيانك بدري عشان تقري قبل بداية اليوم، الشاي باللبن واللي طول عمرك بتعتبريه

2575565132

أهم من أي أكل وشرب وطبعًا تمشيتك على البحر وقت الغروب أو وقت الفجر في أوقات تانية، حسب التوقيت المحلي لمزاجك ومودك..

أتمنى أنك تكوني مبسوطة في حياتك الجديدة، أتمنى أن يكون بديل عدم وجودي أشياء مفرحة تغنيكي عن تفكيرك فيا ولو لثواني قليلة من اليوم، هو أنا مش متأكد من إني إذا كنت باجي في بالك أو لأ بس اللي متأكد منه إن في حاجات كده بتحصل لازم تكون بتفكرك بيا وبتخلي صورتي تترسم في خيالك، حاجات زي القهوة الصبح في الزمالك، أغاني حميد الشاعري، البيتزا وطبعًا خروجة السينما..

ازيك؟

عايز دايمًا كل أما أسأل عليكي أعرف إنك كويسة وناجحة، كل خوفي دايمًا في السؤال إني أعرف إن بقى في حد تاني في حياتك، أنا مش أناني بس أنا مش هستحمل فكرة إنك تبقي مع حد تاني بعد كل التفاصيل اللي عيشتها معاكي دي، انتي متخيلة يعني ايه واحد يبقى مع واحدة بيحبها ١٠ سنين؟ يعني كبرنا سوا وعرفنا تفاصيل الدنيا دي زي اتنين عيال بيكتشفوا العالم للمرة الأولى، الفراق اللي بييجي بعد طول السنين ده مرهق ومؤلم بشكل كبير، مؤلم زي جملة «أنا مابقتش عايز أكمل» ولكنه بسبب حاجات كتير بيبقى فراق لا بد منه..

المهم.. يا رب تبقي دايمًا كويسة، قوية، ناجحة وسعيدة..

وإن في يوم من الأيام ألاقي لباب قلبك من تاني طريق رجوع. . .

المحطة ١٨

أشتاق لكِ في كل لحظاتي وأقولها بلا خجل أو تلعثم،

أتعجب من كوني وحيد الآن، لم أتخيل قط بأن اليوم الذي سأصبح فيه بهذا القدر من الوحدة سيأتي بهذه السرعة، كنتِ في الماضي كل شيء، سعادتي وأحلامي وترتيبات مستقبلي الذي لم يكن به سواكِ، وبين ليلة وضحاها تغير كل شيء، تحولنا إلى غريبين، تحولنا لاثنين يبحثان عن شيء، أي شيء.. سوى كوننا نبحث عن بعضنا البعض..

كل حاجة اتغيرت من وقت الفراق..

دي أكتر حاجة مؤكدة وأكتر حاجة ماقدرش أختلف عليها حتى بيني وبين نفسي..

كل حاجة اتكركبت زي puzzle لسه خارجة من علبتها..

أصعب حاجة لما تلاقي نفسك فجأة محتاج تعيد هيكلة وتكوين قطع حياتك بعد أما كنت فاكر إنك عايش الحياة اللي بيتمناها أي حد، أصعب حاجة لما تصحى في يوم من النوم تلاقي الدنيا اللي كنت عارفها مش هي الدنيا اللي أنت عايش فيها..

كلنا بنحاول نظهر قوتنا ولامبالاتنا في لحظة الفراق..

بنضحك كده ونقول الجملة المكررة بتاعة «خلي بالك من نفسك».

2575565132

في حين إننا بنبقى مش محتاجين حاجة أكتر من أننا ناخد بالنا من نفسنا احنا مش نفس أي حد تاني..

بنبقى محتاجين إيدنا تطبطب علينا، بنبقى عايزين نقول لنفسنا إن كل حاجة هتبقى كويسة حتى لو بعد فترة..

بنبقى عايزين بوصلة تدلنا على الطريق حتى لو كان طريق غلط..

- متأكدة من قرارك؟ انتي فعلًا مش عايزة تكملي؟

- أنا عمري ما حبيت حد قد ما حبيتك يا زين، بس أنا بجد تعبت..

- بس أنا بحبك يا ندى.. خلينا نحاول ندي بعض فرصة تانية..

- وايه الفايدة؟ عارف احنا ادينا بعض كام فرصة قبل كده؟ عارف في الآخر ايه اللي بيحصل؟ ببساطة بننسى..

- بس اللي بينا أكبر من أننا نضيعه.. أكبر من فراق مش هيعمل حاجة غير إنه هيدمرنا ويدمر كل حاجة في حياتنا..

- ساعات بنبقى محتاجين الحاجة اللي تدمرنا دي يا زين عشان نقدر نبدأ من جديد..

عمري ما أتمنيت إننا نبدأ من جديد، عمري ما تخيلت تفاصيل يومي من غيرك يا ندى، عمري ما تخيلت إني ممكن أمسك الصبح تليفوني وأكلم حد غيرك في بداية كل يوم، ولا أتمنيت إني لما أبقى كاره الدنيا كلها أروح

وأكلم حد غيرك يبقى صوته أمان وسلام ومهرب من كل الدنيا، عمري ما اتمنيت إن الزعل والخناق يوصلونا بإننا نبقى أغراب بيفترقوا كأن كل السنين اللي فاتت كانت مجرد لحظة وعدت..

النهاردة أول يوم أبقى في طريق سفر لوحدي من غيرك، مستغرب إني دلوقتي بسمع أغانينا من غير ما تشاركيني بفردة السماعة التانية، مستغرب إن كتفي مش كامل براسك عليه، مستغرب إني في طريقي في سكة سفر لأول مرة ما تكونيش أنتي شريكتي فيه . . .

المحطة ١٩

هذا الحوار الدافئ الذي تخرج كلماته من أعماق القلب هو أكثر ما قد نتمناه بعد النهايات، حوار يحمل بين ضلوعه ذكريات حياتنا القديمة، تلك التفاصيل التي كنا نتشاركها سويًّا، وعود لم تكتمل وأحداث لم تُحفظْ جيّدًا حتى أصابها العفن أو حتى عانت الفقد، وكم تمنيت كثيرًا أن يدور هذا الحوار، لأحكي وأستمع وأتذكر الكثير من قصة تمنيت كثيرًا لو اكتملت..

- آسفة لو اتأخرت عليك.. تقريبًا من كتر ما بقيت بعيدة عنها بقيت بنسى إن إسكندرية زحمة.

- ولا يهمك. أنا طلبت آيس كريم، أطلب لك؟

- آيس كريم؟ في الجو ده؟

- واضح إن بعدك كمان نساكي إننا كنا بناكل آيس كريم في أي وقت عادي..

- خلاص يا عم اطلب لي ويا مرحب بالالتهاب الرئوي.

- شكلك حلو، عاجبني اللي عملاه في شعرك ده.

- ماما لما شافت لوني شعري الجديد كان هيجيلها سكتة قلبية، هقولها إنه عجبك يمكن تبطل تتنمر عليا كل ٥ دقايق.

- ابقي سلمي لي عليها، أنا فعلًا مقصر معاها من ساعة.. من ساعة ما

سيبنا بعض أنا وأنتي.

- الدنيا مغيمة أوي، شكلها هتمطر جامد.

- هتمطر؟ بقيتي من سكان العاصمة وبتقولي هتمطر؟ اسمها تشتي يا شاطرة.

- ضحكتني.. طب قولي بجد عامل ايه في حياتك؟

- على حطة إيدك، حياتي بقيت خالية من المغامرات وأي شيء ممكن يفسد قلبي بأي شكل من الأشكال.

- حاسة بتلقيح كلام شوية.

- لا خالص، أنا بس استغربت إنك فجأة دخلتي كلمتيني تاني، أنا فاكر كويس آخر مرة اتكلمنا فيها كان زي الأيام دي من سنة، دخلتي بعتيلي مسدج قولتيلي إني وحشتك وكنت وقتها مطول شعري أوي فا قولتيلي احلق شعرك عشان مش عاجبني، روحت بعدها بيومين حلقته والله عشانك ودخلت أكلمك لقيتك عملتيلي بلوك تاني فا مستغرب إني قاعد معاكي دلوقتي..

- هي كانت حركة زبالة مني أنا مقدرش أنكر، أنا آسفة بجد بس أنا فعلًا ماكنتش مظبوطة الفترة دي، ماكنتش أنا...

- عارف، وعشان كدا تحديدًا مقدر جدًّا كل حاجة عديتي بيها.. أنا قاعد

معاكي دلوقتي.

- هو أنا ينفع أقولك وحشتني من غير ما أبقى بعلقك بيا؟

- سيبك من كلام الأفلام ده، أنا مش محتاج فعل معين منك يحصل عشان أتعلق بيكي، أنا ماسبتكيش حتى لما سيبنا بعض.

- أهي دي اللي اسمها كلام أفلام، عايز تقولي إن مفيش ولا واحدة دخلت حياتك؟ ولا واحدة لمستها أو حتى قولتلها كلمة حلوة؟

- في حاجات ملهاش معنى لو من غير إحساس..

- طب هو أنت وحشتني بس أنا في الأغلب مش هرجع إسكندرية تاني.

- وأنا في الأغلب مش هسيب إسكندرية تاني..

- عايزة أديلك حاجة.

- انتي ازاي لسه عندك الصور دي!! الصور دي بقالها ييجي ٧ سنين.

- يمكن صورنا دي من أهم الحاجات اللي خلتني قادرة أكمل في السنين اللي فاتت دي..

- اوعديني أنك تفكري تاني إنك ترجعي..

- وأنت أوعدني إني لو مارجعتش ماتنسانيش..

2575565132

المحطة ٢٠

كنت أتعجب قديمًا من العلاقات التي تنتهي فجأة، أتعجب تمامًا من مشهد المحبين الذين يتحولون إلى غرباء في وقت قياسي، وكأن شيئًا لم يكن من البداية، أتعجب من الكلمات التي قد نعيد قولها وسماعها ولكن من أشخاص آخرين، أشخاص جدد لم يكونوا هناك منذ البداية، أتعجب من قلبين يمران من نفس الطريق ولا ينتبهان أن هذا الطريق كان يومًا ما طريقهما معًا..

- لو في يوم اتجوزت واحد غيرك هتحضر فرحي؟

- انتي عارفة إني بكره الهزار ده صح؟

- خلاص ماتزعلش.. أنا مستحيل أكون لأي حد غير ليك..

الحوار ده عدى عليه سنين، وكعادة الوعود بتبقى عاملة زي البطارية اللي بتيجي مع أي لعبة أطفال، عمرها قصير جدًّا جدًّا..

النهاردة يوم فرحك، اختارتي تعمليه زي ما اتمنيتي في إسكندرية وعلى البحر، زي ما كنا بنحلم أنا وانتي زمان، وقررتي تعمليه في ديسمبر، في الشهر اللي عرفتك وحبيتك فيه زمان، أكيد هيبقى شكلك زي القمر كالعادة، زمان كنت بتخيل شكلك في يوم فرحنا، أتخيل فستانك الأبيض وأتخيل الرقصة اللي هنرقصها مع بعض وطبعًا هنفضل نتخانق على الأغنية، أنا أقولك عمرو دياب وانتي تقوليلي حماقي، كنت دايمًا بتخيل

نفسي وأنا شايلك وبلف بيكي وانتي بتضحكي بصوت عالي وحوالينا كل اللي بيحبونا بيسقفوا ويضحكوا، كنت بتخيل نظرتي لكل واحد قال إن الحكاية دي مش هتكمل وأضحك عليه أنا وانتي في حضني..

- هاتقدر تحارب الدنيا كلها عشاني؟

- أنا مستعد أعمل أي حاجة عشان بس أكون معاكي..

- مش هتيجي وقت الجد تبعد وتقول إنك تعبت؟

- زمان عملت حاجات كتير عشان أبقى معاكي، مستحيل دلوقتي أضيعك من إيدي..

النهاردة أكيد هيبقى يوم حلو، اليوم اللي انتي بتحلمي بيه من وانتي صغيرة لكن الفرق هو إني مش أنا عريسك اللي هيبقى جنبك في اليوم ده، الفرق يمكن إنك اختارتي اللي حبك من غير خوف، اللي استحمل نوبات غضبك وزعلك وكل لحظة وحشة كنتي فيها ضعيفة..

ماقدرش أنكر إني كنت جبان في أوقات كتير، كنت مش بعرف أحتويكي بالشكل المطلوب، ماقدرش أنكر إني كنت بكره الخناق وأحاول دايمًا أخلصه بأي شكل وبأي طريقة حتي لو كانت حلول مؤقتة..

- أنت عايز تسيبني؟

- أنا مش عايز أي حاجة غير إني أكمل معاكي يا فرح..

- طب ليه كل حاجة بتعملها بتبين عكس كده؟ ليه دايمًا بحس إنك مش قادر تحارب عشاني؟

- ليه حياتنا ماتبقاش سهلة من غير حروب؟

- عشان مافيش حاجة بتيجي سهلة، المسكنات مش حلول يا عمر..

- خلينا ندي بعض فرصة تانية ونحاول نحل كل حاجة.

- ما تحس إنك قادر تحارب وتعرف فعلًا إن مافيش حاجة أنت عايزها أوي هتيجي بالساهل وقتها بس ممكن نلاقي حلول..

ماقدرش أقول إني ماحبتكيش، يمكن المشكلة كانت في كوني عايز كل حاجة تبقى كويسة بلا تعب وبلا حروب، أنا ماكنتش محارب شاطر وبعترف بده..

النهاردة فرحك ومفيش حاجة أقدر أعملها غير إني أتفرج من بعيد، أشوف أي حد من صحابك منزل ليكي ستوري عشان أشوف شكلك، أشوف تفاصيلك اللي كانت في يوم من الأيام ليا والنهاردة بقت لشخص تاني، شخص حبك بلا تفكير، بلا شروط وبلا خوف من أي حروب هيكون مكسبها في الآخر.. انتي..

المحطة ٢١

مخيف ديسمبر، مخيف في حزنه وفي ذكرياته وقسوته، يأتي كوحش أسطوري يرسل نيرانه وأحزانه لتطال الجميع، طالما كان ديسمبر شهر الفراق والحنين، لسبب لم يعرفه أحد حتى الآن، وإن كان لهذا العالم أسرار كثيرة، فسر اقتران الفراق بديسمبر لم يفهم أحد سببه أو حلَّه حتى الآن، وحتى تحترق المزيد من القلوب وتموت به ملايين الحكايات في مدينة الإسكندرية..

طه عمره ما كان عنده مشكلة مع أي نوع من أنواع البرد، ديسمبر ويناير وفبراير كانوا بالنسباله مجرد أسامي شهور مش أكتر، أتعود على السقعة وعلى إن البرد دايمًا حله كوباية شاي سخنة على الفحم وجاكيت تقيل حبتين من بتوع جده الله يرحمه، من سنة تقريبًا وهو مقاطع الحياة اللي كان يعرفها زمان، من سنة تقريبًا وهو عايش لوحده هو وكلبه في بيت صغير على البحر مش بيخرج منه إلا عشان يشتري طلبات البيت واللي بتبقى حاجات بسيطة زي علب تونة، علب شاي وشوية حاجات من اللي بياخدها طه من على الرفوف في المحلات بلا تركيز أو اكتراث وطبعًا أكل لكلبه روكسي..

صوت تليفون طه بدأ يقل بالتدريج مع مرور الوقت، في أول كام شهر من عزلته والتليفون ماكنش بيبطل رن ليل ونهار، ما بين صحاب قلقانين وما بين زمايل شغله اللي بيترجوه يرجع عشان الدنيا واقفة وهو مش موجود، في

الأغلب ماكنوش مقتنعين إنه خلاص قدم استقالته ومش راجع تاني، العشرين مكالمة مع الوقت اتحولوا لخمس مكالمات والخمس مكالمات اتحولوا لرسايل نصية لحد ما كل ده انتهى بالتدريج وبلا سابق إنذار..

في الحقيقة هو ماكنش متضايق خالص من بعد كل الناس عنه، هو عمره أصلًا ما كان شخص اجتماعي بالشكل الكافي، هو كان بس لطيف زيادة مع الناس وبيحب يضحك في وشهم بس عمره ما حس إنه بينتمي إلى كونه جزء من هذا الكوكب، حاليًا بقى بيكتفي بالأصوات اللي عايش حواليها كبديل لأصوات البشر، الأصوات منظمة جدًا في وقت حضورها وانصرافها في يومه واللي بتبدأ بصوت العصافير، يليها صوت البحر وبعدها صوت الجناييني العجوز عم ملاك مرورًا بصوت فيروز المنبعث من راديو طه الصغير ومن ثم صوت طقطقة الفحم بالليل وهو بيعمل الشاي وحتي صوت الضفادع في الليل برضو ...

طه مكانش كده، هو كان زيه زي أي حد ويمكن كان أسعد من ناس كتير، بس هو كان من البشر اللي اتعودوا يعيشوا من أجل سعادة غيرهم من غير ما يبقى بيدور على مقابل، كان فاكر إن حكايته هتخلص بالظبط زي ما الأفلام بتخلص، وإن اللي عاش سنين معاها هتبقى في الآخر نصيبه وهيكملوا ويعيشوا في تبات ونبات، مكانش يعرف إن التبات والنبات دول ماتخلقوش عشانه وإنه هيعيش تعيس زيه زي الوحدة اللي بقى عايش فيها، عمره ما كان جبان ولا بيستخبى من وجعه، هو يمكن بس بقى مش قادر

يواجه فكرة إنه يشوفها ولو حتى على سبيل الصدفة، كان بيزعل أوي في الفترة الأولى من الفراق لما حد من صحابه يبعتله صورة ليها مع حبيبها الجديد أو يقوله «هي دي اللي أنت زعلان عشانها؟ أهي نسياك وعايشة حياتها "، يمكن الوجع الأكبر بالنسبة ليه متمثلة في كونه مش عارف يعيش حياته اللي حاول كتير يحبها أو يمكن كان بيحبها لوجودها فيها . . .

طه بقى بيتجرع الوحدة زيها زي الشاي والقهوة، بقى شبه المجاذيب اللي بينفر منهم الناس لمجرد كونهم مختلفين، أصبح يقدس العزلة ويحترمها لأنها ببساطة عكس كل شيء حبه في يوم وعمرها في يوم ما هتبعد وتسيبه. . .

المحطة ٢٢

كنت أنتظر تلك اللحظة طويلًا، تلك اللحظة السينيمائية والتي من خلالها سأدلف إلى مكانٍ ما، وأراها عن طريق الصدفة، أحتضنها بأعيني وأقبِّلها بروحي، أسمع منها ما فعلته بها الحياة وأحكي لها عن حياتي بدونها، كنت أنتظر اللقاء الثاني وكأنني أنتظر أن تعاد روحي إليَّ مجددًا، وقد وافق القدر على مطلبي، وأهداني جائزة الانتظار، لقاء لن أجعله يذهب هباءً أبدًا...

- صباح الخير..

- أكيد لأ!! مصطفى؟!

- فرح!! المحل ده بتاعك؟

- آه.. ايه رأيك؟

- حلو أوي.. انتي عارفة إني ماليش في الرسم والفن، بس المكان شدني إني أدخله.

- أنا مستغربة أوي أوي دلوقتي..

- عشان شوفتيني يعني؟

- أصل احنا بقالنا أكتر من سنتين ماشوفناش بعض، فا الموضوع أفلام شوية بالنسبالي.

- طول عمرك بتعشقي الأفلام، أهي فرصة تعيشي فيلم صغير في يومك.

- طمني عليك.. حياتك ماشية ازاي؟

- مفيش جديد، بسافر وأشتغل، المعتاد بتاعي يعني.

- أعملك قهوة؟

- ما انتي عارفة إني مابحبهاش.

- صح.. طيب أجيبلك عصير..

- أنا مش عايزك تتعبي نفسك ولا تعملي أي حاجة خالص، أنا بجد كفاية إني شوفتك.

- طب قولي بجد عامل ايه...

- مش عايز أبقى شخص درامي كئيب وأقولك إن حياتي واقفة، بس يمكن حياتي بهتانة شوية؟ الحياة معاكي كان فيها تفاصيل ماتتعوضش، السفر والضحك حتى سكوتك كان حلو.

- لسه كلامك حلو زي ما أنت.. بس أنا مش عايزاك تفضل مزنوق في مرحلة اسمها فرح وذكرياتي مع فرح، في حاجات بيبقى أحسن إنها ما تتعاش من أول وجديد.

- حاجات زي ايه؟

- زي الأفلام مثلًا، فاكر لما كنت متحمسة أوي إني أفرجك على ruby

sparks؟ كنت متحمسة لفكرة إني هوريك فيلم بحبه، بس الفيلم لو اشتغل تاني قدامي مش هشوفه في الأغلب..

- مش يمكن الفيلم يوحشك؟

- أصل ايه اللي هيوحشني؟ التفاصيل بتاعته هي هي ونهايته كمان، كل اللي هيحصل هو إني هبدأ أزهق منه وأنا مش عايزة كده.

- يعني انتي مش مبسوطة إنك شوفتيني؟

- هو ده اللي أنت فهمته يعني؟ طبعًا مبسوطة!! أنا كل اللي أقصده إني عايزاك تتبسط بحياتك من غير ما تقعد تفكر في زمان وحياتك اللي بقت مليانة دراما وحزن...

- هو أنا ينفع أبقى أكلمك وأطمن عليكي؟

- أكيد ينفع، بس ماتعملش حاجة تخليك تيجي على قلبك عشان تعملها..

- أنا قلبي هيبقى دايمًا مبسوط لما أشوفك، حتى لو مفيش بينا حاجة..

- مصطفى..

- مممم

- خلي صورتي اللي جواك هي الصورة اللي أنت حبيتني عشانها.

- خلي بالك من نفسك يا فرح، تفتكري بعد سنين من دلوقتي

هنفتكر بعض؟

- هنفتكر بعض مرة كل شتا، تمام؟ الشتا وقت مناسب إننا نزعل شوية على الفراق.

- خلاص انتي قررتي يعني إن الشتا هو التوقيت الرسمي للحزن؟

- الشتا يبقى في شوية حزن وتبقى باقي السنة تمام أحسن ما تعيش ٤ فصول بتفكر بس في فرح..

- كل ما أشوف ruby sparks هفتكرك.

- وأنا كل ما أروح إسكندرية هفتكرك..

المحطة ٢٣

في حياتنا يأتي وقتٌ ما نقرر فيه أن الحياة لا بد لها أن تستمر، الماضي يجب أن يذهب إلى الجحيم بلا رجعة والمشاعر التي استهلكناها على البشر يجب أن ترحل إلى الأبد، في حياتنا قد نواجه ذكريات الماضي كل يوم، ولكن الأهم من مواجهته هو مقدار قوتنا وطاقتنا وقت المواجهة، وأن نستوعب ولو لمرة واحدة في الحياة أن مشاعرنا تستحق منَّا كل الحب والحماية..

ريتال بقالها سنة تقريبًا عايشة لوحدها، ماعندهاش مشكلة كبيرة في كونها عايشة لوحدها باستثناء الأيام اللي بتحس فيهم بملل لما كل حد من الصحاب والمعارف بيبقوا مشغولين، خصوصًا إن ريتال دلوقتي بقت عايشة في محافظة تانية بسبب شغلها الجديد واللي نقلت معاه كل حاجة، حتى نوح هو كمان اتنقل من حياتها لحد ما بقت علاقة عن بعد زي ما قال الكتاب..

ريتال ما عندهاش أي مشكلة في كونها لوحدها دلوقتي إلا في الليالي اللي بتسهر فيها تتفرج على فيلم رعب لوحدها رغم خوفها من الأفلام دي، وفيلم الليلة اللي فاتت كان حقيقي مرعب، وقتها يمكن نوح بيوحشها أكتر من العادي، بتتمنى لو تكلمه عشان ييجي يحضنها ويطمنها إن الوحش اللي في الفيلم خيالي وعمره ما هيأذيها وإنه جنبها مهما حصل، بس كل

2575565132

اللي بتعمله هو إنها بتخبي نفسها تحت الغطا وتستخبى من الوحش لحد تاني يوم الصبح.

تاني يوم الصبح كان الجو أسقع من المعتاد، شقة ريتال كانت باردة وخروجها من تحت الغطا كان أشبه بخروجها من جنب الدفاية لأوضة كلها تلج، بس اليوم ده مهم، النهاردة نوح جاي يزورها أخيرًا..

بقالهم تقريبًا شهرين بيخططوا لليوم ده، هو مش عارف ياخد أجازات عشان يسافر لها ولا هي عارفة تلاقي وقت تروحله، بس في الآخر خالص كلمها وخلاص قدامه دقايق ويبقى قدام باب بيتها، قامت ريتال وبدأت تعمل ألف حاجة في نفس الوقت، بتغسل سنانها، بتكوي الفستان اللي هتلبسه وبتعمل لنفسها فنجان قهوة وبتسمع فيروز، طول عمرها بتعرف تعمل حاجات كتير في وقت واحد..

ريتال طول عمرها بتكره الشتا، بتكره كل حاجة إحساسها بارد، كانت وهي طفلة بتستغرب من العيال الصغيرين اللي بينطوا في حمام السباحة من غير أي اكتراث وكأنها حاجة عادية، هي آه حاجة عادية بالنسبة لأغلب الناس أما بالنسبة لريتال الموضوع كان غريب شوية ومؤلم، ريتال إنسانة ربيعية من الطراز الأول..

كل حاجة مرتبطة بالربيع كانت ريتال بتحبها، اللبس الملون اللي مليان ورد، الورد نفسه وأي موسيقى تخليها تعيش في أجواء الربيع اللي بتستناه

من السنة للسنة، نوح كان دايمًا بيضحك عليها وعلى حبها اللي واخد أكبر من حجمه للورد، كان دايمًا بيقولها إنها هتبقى أسعد إنسانة في الدنيا لو عاشت في جنينة كبيرة مليانة ورد.

جِهزت ريتال في الوقت اللي سمعت فيه صوت عربية نوح وهي بتركن قدام بيتها، خرجت للشارع وكان هو ساند على كبوت العربية، لابس جاكيت بني كانت جابتهوله في عيد ميلاده من سنتين.

- ازيك.

قالتها ريتال بابتسامة وصوت مليان حنين، ماردش هو بس فتح دراعه ليها، جريت في حضنه واستخبت من كل الوحدة اللي بتعيشها من يوم ما سابت إسكندرية ومن فيلم الرعب بتاع امبارح، حضن طويل قالت فيه كل اللي بقالها شهور بتفكر تقوله لما تشوف نوح مرة تانية..

ركبت جنبه العربية، اقترحت عليه كافيه قريب من بيتها الجديد، كافيه هادي مش زحمة، ديكوراته بسيطة وما فيهوش حتى عمال كتير، قعدوا على ترابيزة صغيرة بتطل على الشارع، قرب منهم الويتر واللي طلب منه نوح قهوة أما ريتال فا سألته لو كان عنده أي مشروب «ربيعي» فا ضحك نوح واقترح الويتر عليها عصير بينا كولادا فا وافقت ريتال في سعادة طفولية..

- مش كنتي طلبتي حاجة تدفيكي في البرد ده؟ حد يطلب عصير متلج

في يناير؟

- ما بحبش الحاجات السخنة وبعدين امتى نوح هيبطل يعمل نفسه عارف مصلحتي فين والمفروض أعمل ايه؟

ضحك نوح وسألها عن أخبارها وعن حياتها الجديدة، بدأت هي تحكيله عن الفيلم اللي شافته امبارح وإن قد ايه الفيلم خلاها مش عارفة تنام من الخوف..

- تفتكري الفيلم هو اللي يخوف؟ ولا فكرة إنك بعيدة عن كل حاجة بتحبيها هي اللي مخوفاكي؟

- لا أنا حاسة إني مبسوطة، الاستقلالية حلوة يا نوح وأنت كنت أكتر حد بيشجعني على ده.

- يمكن آه كنت بشجعك بس عمري ما شجعتك إنك تعيشي بعيد عني وإننا ننهي كل حاجة.

- أنا بجرب، بجرب أبقى معتمدة على نفسي وبجرب أكون مع ناس تانيين..

- بتفكريني بيكي وانتي في الجامعة، كنتي تروحي تجيبي كلاب مسعورة وقطط جربانة عندك البيت وتقولي أصلي بجرب حاجات جديدة.

- تقصد إني مش بعرف أختار؟

- ليه؟ مانتي اختارتيني زمان.. أنا مش قصدي في المطلق.

جبانة ريتال، ممكن تحكي لنوح عن الولد اللي خرجت معاه من كام يوم واتعشت معاه بس تخاف تسأله لو كان قابل حد جديد وفي حد بيقرب منه في حياته، عايزة دايمًا يبقى عندها يقين إن نوح مهما طال الوقت هو ليها هي وبس..

يمكن نوح مش أحسن حد دخل حياة ريتال، بس كانت دايمًا بتقول إنه أكتر حد فهمها، أكتر حد بيحب الأفلام اللي هي بتحبها وبيسمع نفس المزيكا اللي بتفرحها، كانت دايمًا تقول رغم إنه مش أحسن حد بس أقرب حد ليا ولشخصيتي..

قعدوا مع بعض ساعتين، يمكن تلاتة، خرجوا من الكافيه في عز البرد، خطوات ريتال بتسرع عشان توصل للعربية بسرعة، بتكره البرد وكرهته أكتر لما افتكرت إنها ماشغلتش الدفاية قبل ما تنزل تقابل نوح، دايمًا نوح بيخليها متلخبطة وناسية حاجة..

قدام باب بيتها وقبل ما تنزل من العربية سألها نوح:

- مش ناوية تيجي إسكندرية قريب بقى؟ ولا خلاص عيزانا نبقى بس بنشوف بعض كل كام شهر وخلاص؟

- بالعكس، أنت عارف إني ببقى دايمًا عايزة أشوفك يا نوح بس الشغل...

- مفهوم مفهوم. عمومًا يا ريتال أنا ببقى دايمًا مستنيكي.

- لما توصل ابعتلي أسامي أفلام أتفرج عليها عشان تقريبًا شوفت كل حاجة قولتلي عليها.

- حاضر.. أشوفك قريب يا ريتال.

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقَش

المحطة ٢٤

هل سألت نفسك يومًا لماذا خلق الله الندم؟ .. خلق الله الندم كي نشعر به بعد قرارات متسرعة هوجاء كفيلة بتدمير شكل حياتنا الذي نعهده ونحبه، خلق الله الندم كي نعرف قيمة كل شيء، خلق الله الندم كي نراجع انفسنا ونتجنب أخطاء الماضي، نحن نندم لأننا أحببنا بصدق، نندم لأننا تألمنا بصدق..

كان الاتفاق واضح يوم الفراق، اتفاق بيقول إن حتى بعد ما نسيب بعض هنبقى بنسأل على بعض من وقت للتاني، اتفاق بيقول إن مسموح بمكالمة كل كام شهر للاطمئنان على الصحة والشغل والعيلة ولو المكالمة كان توقيتها مش مظبوط فا يمكن استبدالها بفويس نوت وهو أضعف سبل الوصول..

الاتفاق كان بيقول إن خلاص احنا بقينا مش نافعين لبعض، علاقتنا بقيت أشبه بموضة انتهى وقتها وجه الوقت اللي ندور فيه عن كل ما هو جديد ومواكب لمتطلبات القلب، قلبها هي يعني. مش كل الحاجات اللي بتلمع دهب ولا كل اللي يبان مبسوط قدام عينينا بيبقى بجد مبسوط، بس أنا فاكر يوميها إني هزيت راسي بمنتهى البلاهة وقلت «تمام»، الفراق لا يجب منعه ولا تأجيله، خصوصًا لو في فرد من العلاقة بقى مش مبسوط ولا مرتاح ولا مشاعره عادت زي الأول..

الاتفاق كان بيقول «ننسى»، حاولت كتير أدور في المحلات وأون لاين على الجهاز اللي بيسموه «الزرار»، الزرار ده اللي بيدوسوا عليه فا بيمحوا كل الذكريات والمشاعر والتفاصيل وريحة الدفا في الحضن، لكني فشلت إني ألاقيه، وبصراحة مسألتهاش جابته منين، قلت إنه يمكن من الأفضل إنها تحتفظ بحقوق حصرية لامتلاكها الجهاز ده، أنا مش عايز أبقى بزرار، طول عمري بحب أدي كل حاجة وقتها وحجمها وأهميتها مهما كانت بالنسبة لناس كتير مش مهمة وبلا جدوى..

الاتفاق خلاني بقيت بمشي شوية زيادة كل يوم، بتفرج على الحاجات المفرحة واللي بقى شكلها غير مفرح بالمرة، خلاني أتوخى الحذر لما بدوس على كلمة shuffle وأنا بسمع الأغاني، الأغاني المرتبطة بالذكريات تدمر الصحة وتسبب العشرات من الوفيات الصغيرة المتكررة..

ليلة راس السنة قررت إني أكلمها، مكالمة اتمنيت من قبل حدوثها إنها تبقى سريعة وبهتانة وبلا توابع، مكالمة كان سبب حدوثها هو إني بغلط كالعادة وأدور في كراكيبي القديمة على أي حاجة ذات قيمة والمشكلة إن كل كراكيبي ليها قيمة..

- كل سنة وأنت طيب.

- وانتي طيبة.. طمنيني عليكي.

- أنا زي الفل.. كل حاجة تمام الحمد لله.

- يا رب دايمًا.. ايه مش سامع دوشة حواليكي، مفيش خروج النهاردة ولا ايه؟

- لا قررت إني أقضي اليوم ده مع الفشار وشوبة أفلام بقالي كتير عايزة أشوفهم.

- أنا كمان قررت إني اقضيها في هدوء قدام البحر.. سمعتي ألبوم عمرو دياب؟

- ماعجبنيش أوي بصراحة..

- في أغنية عجبتني اسمها من العشم..

- ممم.. هسمعها تاني.

- تحبي نتقابل قريب؟ نتغدى في أي مكان؟

- بلاش أحسن.. أنت مش بتبقى كويس بعد كل مرة بتشوفني فيها.. أنا مش عايزة أفضل أعلقك بيا.. ده ظلم ليك..

- غريبة إني أنا بس اللي ببقى مش كويس بعد كل مرة.. قوة مناعتك مذهلة.. كده الواحد ما يخفش عليكي من أي وباء.

- حاسة بتريقة في نبرة صوتك بس ماشي.. سيبك مني وحاول أنت تبقى كويس عشان نفسك مش عشان حد.. الجو برد عندك؟

- شكلها هتشتي جامد.. بتسأليني عن الجو؟ فعلًا؟

- هقول ايه...

- طيب.. أنا هسيبك مع الفشار والأفلام وعمومًا لو حبيتي نشوف بعض أي وقت هبقى مبسوط جدًا. هستناكي تكلميني أي وقت..

- كل سنة وأنت طيب.. خلي بالك على نفسك.

- وانتي كمان...

الاتفاق كداب جدًا في تفاصيله، هو الاتفاق لو الطرفين مش موافقين عليه مايبقاش اسمه اتفاق أوي يعني، بس أنا قررت إني أريحها بالشكل اللي يرضيها على حساب سعادتي وتفاصيل حياتي، بقفل معاها المكالمة وأبص للبحر في شرود، وأسأل نفسي سؤال قبل ما أفرد ضهري علة الرملة «هو ليه بنتفق في الفراق رغم إن البداية ما كنش فيها أي اتفاق؟».

المحطة ٢٥

علاقة حبٍّ واحدة كفيلة بتغييرك تمامًا، الحبُّ يغيرنا سواء للأفضل أو للأسوأ، الحبُّ يجعلنا نغوص في سبات طويل كالمنوم مغناطيسيًّا، الحبُّ يسلبنا إرادتنا وقدرتنا على التفكير، من يحبُّ لا يفكر ومن لا يفكر يخسر كل شيء في النهاية، الحب وحده قادر على تحريكنا كعرائس الماريونيت بين يدي من أحببنا في يوم ما.

- عارفة ايه المشكلة؟

- ايه؟

- المشكلة إننا بقينا بنتعلق بسرعة وبننسى كمان بسرعة.. بقت حياتنا شبه on the run كده..

- ازاي يعني مش فاهمة..

- يعني، الناس بتدخل حياتنا من غير أي تمهيد أو استئذان، يقوم قلبنا فاتح بابه زي الباب الكهربا اللي بيفتح لأي حد ده، الباب الكهربا ده مش بيفرق بقى اللي داخل ده هيشتري ولا هيقعد ولا جاي حتي يدخل الحمام ويمشي.. عبيط أوي الباب ده.

- بس على الأقل في ناس بتدخل تشتري، مش كله بييجي يبص على البضاعة ويمشي يعني، ولا ايه؟

- حتى اللي بيدخل يشتري، بيشتري ويمشي ولو اللي جوه مش على مزاجه هيسيبه عادي، نفسي أوي أبقى المكان اللي الناس بتدخله ومش بتسيبه، نفسي أبقى السكن مش المحطة ولا الاستراحة.

- لو فكرت شوية في الموضوع هتكتشف إنك تبقى مجرد on the run أو محطة يعني ده أحسن لك وأريح لك، على الأقل فكرة إنك تتعلق بالناس مش هتبقى موجودة، زي ما قولت من شوية..

- طب انتي مثلًا، تعرفيني بقالك ٥ سنين ويكن أكتر، عمرك حسيتي إني مبسوط بفكرة إني بنسى بسرعة؟ حتى لو انتي شيفاها ميزة..

- بس أنت ماكنتش كده، أنت كنت حقيقي أكتر في مشاعرك وحقيقي أوي في وجعك، بس بييجي حد بياخد الجمل بما حمل، بياخد الحواديت والحاجات الحلوة وبيسيبلنا الوجع والفقد والحنين، الحاجات دي بقى اللي بتخلينا نقعد نسمع في أغاني حزينة ونسرح لما نشوف البحر، زي ما أنت سرحان كده بقالك ساعتين..

- كان نفسي جدًّا أبقى الشخص اللي بيجرح ده وأبقى معدوم المشاعر وبعرف تاني يوم أحب واحدة تانية، والله بستغرب من الناس اللي بتتعامل مع الحواديت على إنها حاجات بتتحكي مش بتتعاش.. الناس دي اللي عندهم زرار delete جاهز دايمًا ومستعد للضغط.. بذمتك مش بيبقى نفسك تبقي كده؟

- مممم .. أعتقد إني أفضّل أبقى إنسانة حقيقية ومجروحة على إني أعيش روبوت بلا مشاعر..

- خلي إنسانيتك تنفعك بقى، أنا عايز من الروبوت ده.. والله الدنيا هتبقى أريح لما نبطل نستنى حاجات تحصل ونستنى الناس تخاف على مشاعرنا..

- علي.. أنت لسه بتحبها؟

- أنا لو شوفت سلمى صدفة في الشارع مش هعمل زي ما كنت بعمل من سنتين فاتوا، من سنتين فاتوا كنت هبقى مرعوب ومتوتر وقلبي بيدق لو ده حصل، دلوقتي في الأغلب هضحك لها وأسلم عليها كأني قابلت صديق قديم .. هيبقى أكيد في لهفة بس مفيش الشوق بتاع زمان ده..

- عايز تقنعني إنك بطلت تسأل عليها من صحابها أو تعرف أخبارها؟ .. خلاص الأستاذ علي بقى تمام؟

- أنا ماكنتش تمام بيها عشان أبقى تمام من غيرها.. أنا بيها كنت كامل على قد ما كنت ناقص، كنت بقول إني لقيت اللي تكملني وتشبهني رغم إننا ماكناش شبه بعض في أي حاجة.. أنا حبيتها عشان حبيتها كفكرة مش عشان مفيش منها اتنين..

- علي الفيلسوف يعود بقوة، بس ماشي.. تقريبًا فهماك شوية.. المهم بقى إن الجو برد وأنا هموت من التلج، ممكن يلا بينا بقى؟

2575565132

- أهو سلمى كانت عاملة زي المشهد ده، ماقدرتش تستحمل البرد، أو يعني.. ماقدرتش تستحمل فكرة إنها ماتبقاش مرتاحة ٢٤ قيراط.. كانت عايزة علاقة مفيهاش أي مشاكل ولا احتمالات.. كانت عايزة علاقة خالية من أي حياة..

- وأنت..

- أنا كنت عايزها هي.. عشان كده من ساعتها وأنا بقيت زي الباب الكهربا..

2575565132

المحطة ٢٦

هي حرب داخلية ضارية لن تنتهي في يوم من الأيام بين الألم والتعافي، بين العقل والقلب، حرب متكافئة الأركان تنتظر منك التدخل، أنت وحدك الفيصل في تلك المعركة، أنت وحدك القادر على الانتصار والخروج مما يؤلمك أو الذي سيترك روحه للوجع حتى تظهر كلمة النهاية أمام شريط حياتك، أنت سيد القرار وحدك..

إسكندرية – ديسمبر ٢٠٢٠..

الساعة دلوقتي ٨:٣٦ الصبح بس على عكس الأيام اللي فاتت الشمس ماطلعتش النهاردة...

وزي ما قلوبنا بتدينا وقتنا في الحزن، في الأغلب الشمس بتدي فرصة للشتا إنه يعلن عن وصوله..

النهاردة كنت مخطط إني أعمل حاجات كتير بس زي ما الحياة بتدينا مفاجأت بلا تمهيد، الشتا أعلن عن وصوله هو كمان بلا تمهيد، واحنا في حياتنا بنغير خطط كتير بسبب الأحداث اللي بتحصل فجأة..

مش بستغرب من إن في ناس كتير بتكره الشتا، الشتا فصل الحزن، فصل الذكريات.. الفصل اللي بنبقى عايزين نكروته في الكتاب السنوي بتاعنا لتجنب أحزان قابلة للاشتعال مش بيظهر تأثيرها علينا غير بس في الوقت ده من السنة..

الشتا هو الفصل اللي بنفتكر فيه الوعود المتبادلة واللي بتبقى في الأغلب كلها وعود مؤقتة، بتنتهي صلاحيتها ومصداقيتها بعد شوية وقت، أما على صعيد آخر، الصيف بيبق فصل التعافي ولكنه زيه زي الوعود، تعافي مؤقت..

الشتا هو الفصل اللي بنفتح فيه درج الأغاني اللي بنقفل عليها طول السنة، ونبدأ نسمعها تاني وتالت حتى واحنا عارفين إن الأغاني دي زيها زي السجاير، مضرة بالصحة وتسبب الموت البطيء، الشتا هو فصل فيروز، مسار إجباري، وردة وJames blunt..

الخوف من الشتا عامل زي الخوف من الذكريات، الخوف من الأحداث اللي بتتعاد جوه دماغنا زي شريط سينما بهتان ولكنه لسه شغال، كأنك مجبر تتفرج على نفس الفيلم في نفس الوقت من كل سنة، مهما بنقول لنفسنا إننا خلاص نسينا بنلاقي الشتا بيشاور وهو مطلع لسانه وبيضحك علينا وكأنه بيقول:

- مفيش حاجة اسمها نسيان.. النسيان ده كدبة كبيرة.

في حاجات مفيش منها هروب، الذكريات اللي بنخاف منها هي الذكريات اللي بنخلقها بإيدينا، بنتعامل مع الحزن بكل احترام وبنديله المساحة اللي بيحتاجها جوانا، وبننسى دايمًا إن الحزن بجح وطماع، بيفضل يتمطع ويفرد في نفسه جوانا لحد ما يملكنا، وقتها بس بنفوق وتبدأ أعراض المقاومة

جوانا واللي بنخسر فيها بصدر رحب واحنا بنرفع راية الاستسلام على سطح ديسمبر..

المحطة ٢٧

من قال أن البعد يُنسينا الماضي؟من قال تلك العبارة بالتأكيد لم يقع في الحب حقًّا ولم يعرفه، من قال ذلك لم يعرف معنى حبَّ الطفولةِ والبدايات، الحبَّ الذي شكَّلنا وترعرع داخلنا بمرور سنوات حياتنا، البعد كفيل بتسكين الألم لأي جرح فقط دون أن يعالجه، البعد مسكن وليس علاجًا، مسكن يمهلنا وقت أطول فقط لنعيش جراحنا في سكون.

باريس – فرنسا..

«بتذكر آخر مرة شفتك سنتا ... بتذكر وقتا آخر كلمة قلتا».

كان المترو شبه خالٍ في تلك الليلة الممطرة، كعادتها باريس متقلبة في مناخها حينما تقترب الشهور الثلاثة الأخيرة من العام، وكعادته هو، يجلس زياد ووجهه داخل الكتب، يقضي ساعاته بين محطات المترو الطويلة جالسًا في هدوء يشوبه بعض الملل الذي اعتاد عليه مع مرور السنوات، يستمع إلى موسيقى الجاز في سمَّاعات هاتفه المحمول ويقرأ رواية بوليسية جديدة تحمل في صفحاتها الإثارة التي طالما افتقدها في حياته الباريسية الهادئة ..

المسافة بين محطتي الشانزيليزيه وناسيون أخذت أكثر من وقتها الطبيعي اليوم لوجود بعض أعمال الصيانة في خطوط المترو أو ربما لأن خطوط المترو أصابها العجز مثلما أصاب بريق المدينة، هو لا يبالي حقًّا طالما

كانت سماعاته تعمل والكتاب في يده لم تنتهي صفحاته بعد، اليوم هو يقرأ رواية رومانسية على غير عادته، لا مانع من بعض التغيير في بعض الأحيان حتى وإن كان التغيير في شيء تافه مثل نوعية الكتب.

و لكن في بعض الأوقات، التغيير الذي نقدم عليه قد يغير مسار حياتنا كله..

و اليوم.. فقط اليوم.. قرر أن يعود إلى الاستماع إلى حبيبته الأولى بلا منازع، فيروز ..

«بيطلع ع بالي أرجع أنا وإياك ... أنت حلالي أرجع أنا وياك».

***

نظر زياد إلى انعكاس صورته في نافذة المترو، يرى فيها رجلًا قارب على العقد الخامس من العمر، يعلم أن بداخله هو ما زال هذا الشاب العشريني اليافع ولكن الزمن يرفض هذا الشعور، مهما تحايل على القدر بملابسه الشبابية وقمصانه الزهرية وحتى قصة شعره التي تشبه قصة شعر براد بيت في فيلم «تروي» فهو ورغم كل شيء، رجل قارب على الخمسين عامًا ..

يسرح في انعكاس هيئته، هو حقًّا يشبه أباه الراحل، كريم أورفلي، ويشبه أباه أيضًا في شغفه وولعه بالموسيقى. هما الاثنان قررا إهداء حياتهما ومستقبلهما إلى الموسيقى لا لشيء آخر، ولكن ما نهديه عمرنا وشغفنا

2575565132

ليس عليه بالضرورة أن يفعل هذا معنا في المقابل.. ليس دائمًا ..

يسرح فيتذكر أيام الدراسة، ويتذكر مدرسته والأصدقاء، يجاهد عقله كثيرًا لكي يتذكر كما ينبغي، يتذكر الوجوه والتفاصيل التي تخونه حينما يريد استعادتهم إلى رأسه الآن، أشخاص كانوا قريبين منه والآن لا يتذكر حتى أسماءهم، أشخاص رحلوا عن العالم ولا يعلم عنهم أي شيء، أناس منسيون تمامًا وآخرون يستحيل نسيانهم، بالضبط مثل «سلمى».

كانت سلمى في الماضي هي الحديث الأهم في حياته المدرسية وحلمًا مستحيل لكثيرين من أطفال المدرسة، الكل يعشق سلمى، الكل يعود إلى بيته في المساء ليسرح في شعرها الأصفر اللامع وعيونها الزرقاء، يسرحون في ابتسامتها وتفاصيلها الطفولية في الظاهر والأنثوية بشدة في الباطن، خيالهم جميعًا وقلوبهم مع سلمى، ولكنها اختارت وببساطة وتلقائية الطفولة أن توهب فؤادها لزياد أورفلي ..

- لما نكبر هتييجي تطلب إيدي من بابا؟

- نتجوز يعني تقصدي؟

- أيوة.. أنا أختي الكبيرة قبل أما تتجوز، جوزها جيه وطلب إيدها من بابا..

«لماذا نطلب أياديهن وفي الأصل نريد قلوبهن أكثر من أي شيء آخر؟»

أين هي سلمى الآن؟ كم ازداد جمالها؟ .. يسأل نفسه أسئلة كثيرة تدور

كلها في كوكبها الذي غادره ورحل بلا تمهيد أو وداع بسيط يليق بقلوب صغيرة لم يتخللها الألم بعد..

- أنا هسافر .. غصب عني يا سلمى.

- مفيش حد بيعمل حاجة غصب عنه.

- هرجع .. أوعدك إني هرجع.

- وأنا أوعدك إني مش هنسى.. ولا حبك ولا جرحك.

صوت فيروز يذكره بسلمى، وقد يكون شجن حسِّها وذاك الشعور بالحنين الذي يتخلله عندما يستمع إلى أغانيها هو ما يذكره بسلمى، قارب هو على عقده الخامس ولكن قلبه ما زال معلقًا معها، ما زال يرتاد المترو ويبقى فيه حتى ينتهي اليوم أو ينتهي هو، أيهما اقرب..

يندم على رحيله ويندم على حلم أراده ولم تكن سلمى جزءًا منه، يندم على وحدته وعلى سنوات ضاعت لم تكن هي فيها ..

هبط زياد من المترو وبدأ المطر في الهطول بلا تمهيد، «Merde" قالها في غضب، فقد ابتلت كل ملابسه وهو لحظه العثر لم يأخذ مظلته معه اليوم، جرى مسرعًا إلى عمارته والماء يغرقه بلا رحمة، سرتْ في جسده قشعريرة عندما تذكر الشتاء في الإسكندرية فيما مضى، في الواقع تذكر نفسه وهو يركض تحت الأمطار في سعادة ولا يبالي بالبرد على الإطلاق، تذكر دفء حضنها في الشتاء، تذكر عيونها والسنوات التي قضاها معها،

منذ الطفولة وحتى الشباب، ويا ليت الأيام تعود مرة أخرى، أما الآن فالوضع قد اختلف تمامًا.. نظر نظرة خاطفة إلى صندوق بريده الذي هو في الأغلب لا يأتي إليه فيه سوى فواتير وديون لا تنتهي ولكن هذه المرة رأى جوابًا مختلفًا الشكل، سحبه من الصندوق بيده المبتلة ودلف إلى شقته ليتخلص من ملابسه المبتلة..

«أنت حلالي ارجع أنا وياك .. أنا وأنت ملا أنت».

سرت في جسده قشعريرة فور أن رأى خط المرسل، يعمله ويتذكره، هذا الجواب منها، هذا الجواب انتظره ٣٠ عامًا ...

«زياد.. وحشتني.. أنا قربت أجيلك.. استناني»، قرأ جملها القصيرة كثيرًا حتى دمعت عينه، أخذ الجواب ووضعه العديد من الجوابات الأخرى التي تحمله خطها .. أو خطه..

ظل ثلاثين عامًا يكتب جواباتٍ من سلمى إلى نفسه ويرسلها إليه، كتب لنفسه عن حنينها له وكتب لها عن ندمه وأسفه والأعوام التي تمر وتأخذ من روحه وتأخذ من قلبه الذي أصبح قطعة من الثلج مثل برودة باريس ..

وضع الإبرة على الجرمافون لينبعث صوت فيروز في أركان البناية الفرنسية، حمل بين يديه العشرات من الجوابات منه إلى نفسه أو من سلمى في خياله، مسح بيده على تلك الأوراق وفي يده الأخرى صورة قديمة له مع سلمى في طفولتهما، احتاج عدة دقائق لتعيد له ذاكرته الحروف

الأبجدية مرة أخرى ومن ثم بدأ في القراءة لعله ينسى أو لعله يتذكر. . .

«إنتا الأساسي وبحبك بالأساس . . . بحبك أنت ملا أنت»

2575565132

المحطة ٢٨

أتعرف لماذا أكره ديسمبر؟ لأن الألم يبدأ في نوفمبر ويصل إلى ذروته في ديسمبر، والآن أحكي قصتي بعد مرور ٦٠٠ يوم على الفراق، ما يقرب من العامين على فراقنا وأنتِ ما زلتِ حيَّة بداخلي ترقصين على أوتار قلبي بلا اكتراث، أعلم تمام العلم أن قصتنا كتب عليها الفشل منذ بدايتها ولكني سأحكي عنك في كل الأحوال..

اليوم الـ ٦٠٠ بعد الفراق..

الشتا بيبدأ، والحزن بيعشق الشتا وكأن الاتنين بيكملوا بعض..

سنتين إلا كام شهر، ده تاريخ النهاردة في حسبة ما بعد أيام الفراق، هو في الأغلب كمان اليوم الأخير في السرد والحكي، هو اليوم الأخير فعليًّا في الألم وفي إني حتى أفضل فاكرك، اليوم تنالين الوداع الذي يليق بك . . .

***

ديسمبر – ٢٠١٧..

كنا وقتها لسه في أول ديسمبر، وعلى عكسي تمامًا كانت هي بتكره الشتا وبتعشق الصيف، كنت واقف على كوبري ستانلي وسرحان في اللي جاي، سرحان في إني محتاج إن الشتا يطول شويتين تلاتة، سرحان ولكن حواسي كلها كانوا معاها، كانت واخدة الكوفية بتاعتي ومستخبية جواها،

راسها على كتفي وريحتها جوايا، يمكن كنت بحب الشتا في الوقت ده عشان أحس جنبها بالدفا، وأحس إني فعلًا إنسان بوجودها معايا، أحس إن الشتا اتخلق عشان اللحظة دي!! اللحظة الكاملة واللي مع الوقت أصبحت العادة بتاعتنا..

كنت دايمًا بسمع الجيران وهما بيقولوا لجدتي:

- ربنا ما يقطلعك عادة ..

و كتير سألت نفسي، « ايه اللي يخلي أي حاجة في المطلق عادة؟» واكتشفت مع الوقت إن احنا اللي بنخلق العادة، احنا اللي بنحول شوية حاجات من صنعنا لأفعال يومية وبنقدسها ونخليها بعد شوية هي المحور الأساسي لحياتنا وتفكيرنا، احنا اللي بنخلي السموم جوانا واحنا اللي بنحب نعيش الحالة كاملة، منقدرش حتى نتخيل القصة الحلوة أوي دي من غير فراق ووجع وأغاني تقطع القلب..

احنا اللي فعليًّا بنقدس الحزن ..

من مميزات الفراق هو إنك بتقدر تسمع الأغاني اللي نفسك تسمعها طول طريق السفر، مش مضطر إنك تفضل تسمع في أغاني لناس مش بتحبها لمجرد إنك عايز ترضيها وتشوفها مبسوطة، بس مضطر إنك تطرد الأغاني دي من دماغك عشان تقدر تاخد طريق السفر من أساسه..

«أنا بقيت بحب أنغام عشان انتي بتحبيها».

- هات موبايلك .. هشغل أنا الأغاني.

مش عارف فعليًا وقع الجملة دي ايه عليا دلوقتي، هل مبسوط إني بطلت أسمعها ولا أنا محتاج إني أسمعها أوي دلوقتي..

الفراق أصله مش بالبساطة دي، مش عشان هو مش بسيط.. بس عشان احنا قدسنا الفراق زيه زي الحزن، وخلينا للفراق توابع وحواديت بنستنى لمة صحاب زمان عشان نحكي عنها.. وبنبقى بجد مش عارفين احنا بنحكي عشان نفضفض ولا عشان نحس إنهم لسه موجودين بكلامنا عنهم..

ديسمبر ٢٠١٩..

«سيدي وصالك ... زاد عليا حنيني».

الشتا اتأخر شوية السنادي، لسه بنزل بلبس صيفي، لسه البرد مجاش خبط بابي، عموما الشتا في إسكندرية بييجي من غير ميعاد، بتبقى نايم في الحر تصحي تلاقي الجو تلج.. شتاء بلا تمهيد.. عامل زيها كده بالظبط، مشيت من حياتي بلا تمهيد، تذكرة ذهاب فقط بلا عودة، تذكرة إلى «الرحيل»، ورغم إنك أكتر حد عارف إني بخاف من الفقد، وإني أكتر حد بيكتب ويتكلم عن الفقد، إلا إنك قررتي تخليني أجربه ..

تفتكري الشتا اتأخر عشان مستنينا نرجع مثلًا؟ لو ده سبب تأخيره فيبقى غلطان لأن مفيش بعد النقطة الأخيرة بدايات جديدة، مش سهل بعد كلمة «تمت» إنك تبدأ من أول وجديد...

- مش هنفرح بيك بقى ولا ايه؟

- ليه؟ .. الفرحة عمرها ما كانت في الحب عمومًا..

بعض الحاجات لازم نبطل نديها أكبر من حجمها، وبعض الأفعال لازم نبطل نعملها، زي إني أحتاج ٦٠٠ يوم من الفراق عشان أنسى وأبقى تمام، العمر فيه كام ٦٠٠ يوم عشان أضيعهم على كل حد خد حتة من قلبي ومشي؟ حتى للي افتكر إني سبيل، السبيل بيفضل ينقص وبييجي يوم ويخلص، الأفلام بتخلص حتى لو شوفناها تاني مش بننبهر زي أول مرة، الأغاني بتخلص ولما بنعيد ونزيد فيها بتبقى خلاص ملهاش روح ولا طعم، في أشياء بيبق من الأفضل ليها ولينا إنها تخلص من أجل إيجاد بدايات أخرى تستاهل إننا نعيش ليها..

أما بالنسبة للشتا، مش مهم أبدًا تبقى عارف ميعاده، المهم فعلًا إنه لما ييجي.. تبقى مستعد له..

المحطة ٢٩

أعلم إنك تذوقت الكثير من المرار، أعلم أن من أحببتهم لم يحافظوا على قلبك ومشاعرك، أعلم أنك خائف ولم تعد تثق في البشر، ولكن كل ما سأطلبه منك أن تمهل قلبك بعض الوقت ليتعافى، سأطلب منك ألا تغلق باب قلبك كليًا، اترك ولو جزء بسيط منه لما هو قادم، انتظر قليلًا فالحب الحقيقي لحياتك سيأتي بعد قليل...

رغم إن الجو كان برد جدًا اليوم ده، إلا إن آدم ما كنش عنده أي مانع إنه يقضي اللي باقي من اليوم على البحر يلعب مع كلبه تشارلي، فضل طول النهار يرميله الكورة وتشارلي يجري بسرعة يجبها، وعلى قبل وقت الغروب بشوية قعد آدم على الرملة وفرد جسمه بعد ما اتمطع وهو حاسس بارتياح كبير، يمكن بقاله كتير ما حسش بالنوع ده من الارتياح، غمض عينه لشوية دقايق لحد ما حس بإيد بتصحيه، فتح عينه ولقي إن اللي كانت بتصحيه هي مريم، قام من مكانه وبصلها باستغراب وسألها:

- هو انتي ازاي عرفتي مكاني؟

- حافظاك وعارفاك.. لما بتزعل دايمًا بتيجي هنا.

- ومين قالك إني زعلان.. أنا كويس جدًا.

- يا رب دايمًا.. بس قولي هو في حد كويس جدًا يسيب فرحه ومايروحش؟

2575565132

- مريم لو جاية تديني محاضرة.. امشي أحسن.

- ولا جاية أديك محاضرة ولا حاجة.. أنا جاية عشان أكون جنبك..

ضحك آدم، بقاله كتير ما سمعش كلمة «أنا جنبك» من أي حد، هو ومريم صحاب بقالهم ١٠ سنين، تقريبًا مفيش مناسبة أو سفرية هتعدي على ذكريات آدم مش هيكون فيها مريم، كبروا مع بعض ومهما عرف ناس أو هي عرفت ناس، العلاقة اللي بينهم عمر ما حاجة غيرها، كان دايمًا بيشبه علاقته بمريم باتنين قاعدين على قهوة، كل شوية حد بييجي يقعد معاهم على القهوة شوية يطلب حاجة، في اللي بيحاسب وفي اللي بيمشي من غير ما يحاسب، ييجي اللي ييجي ويمشي اللي يمشي وبيفضلوا في الآخر هما الاتنين بس يكملوا الرحلة..

امبارح كان فرح آدم على فريدة، جواز صالونات، أهله وأهلها صحاب من زمان، عايزين الولد للبنت، كام مقابلة وفجأة لقي نفسه بيتجوز واحدة ما يعرفهاش لمجرد بس إن أهله إلحاحهم عليه مش بيخلص، جملة أمه «نفسي أشيل عيالك» كانت الكارت الكسبان في اللعب على مشاعره عشان يوافق على الجواز، غمض عينه وفتحها لقي نفسه بيجيب بدلته وبيختار شقة هيعيش فيها مع واحدة ما يعرفهاش، لقي نفسه بيختار تفاصيل مع واحدة ذوقه مش زي ذوقها ولا حتى بيحبوا نفس الألوان، لقي إنه بينه وبين إنه يعيش حياته مع واحدة غريبة مجرد خطوة، فا عمل زي الأفلام وما رحش

الفرح وخد تشارلي وفضل طول اليوم قاعد على البحر بعد ما قفل تليفونه، بس مريم كانت دايمًا بتعرف تلاقيه، مريم الوحيدة اللي كانت بتعرف تلاقيه...

- طب على الأقل كلم مامتك طمنها عليك.. قولها أي حاجة.

- أمي عارفة إني كويس يا مريم.. ولو كلمتها هتقعد تصوتلي في التليفون وتقولي أنت عايز تموتني.

- ما هو يا حبيب قلبي مفيش حد يعمل اللي بتعمله ده.. مسلسل ليه لأ مأثر عليك شوية؟

- هو اللي ماكنش فعلًا ينفع إني أعمله إني أربط حياتي بواحدة فعليًا معرفهاش يا مريم.. هبقى بظلمها وبظلم نفسي.

- مش عايز تدي نفسك فرصة؟

- انتي اكتر واحدة عارفاني في الدنيا دي.. عنيد ومقرف.. بس يمكن المرة دي بعند في حاجة صح..

آدم عمره ماحب حد في حياته غير مريم، كانت هي الملاذ بالنسبه ليه، أكتر حد بيفهمه، أكتر حد بيستوعب جنانه وغضبه وهبله في أوقات كتير، مريم هي التفاصيل اللي بيحبها كلها متجمعين في إنسان، ورغم كل حاجة عمره ما قدر إنه يقولها إنه بيحبها، زي دلوقتي من سنين كتير اتعرفوا على بعض، كبروا سوا وعرفوا يعني ايه حياة برضو سوا، كان تقريبًا وقتها ١٦

سنة وهي ١٤ سنة، العروسة مفيهاش غلطة، بنت زي القمر، من عيلة، دمها خفيف، مناسبة جدًّا لكن مش مناسبة لآدم، آدم عارف إن مفيش حد مناسب غير مريم..

- مريم.

- نعم يا سايكو.

- مريم أنا صعب أوي إني أصحى كل صبح فاضل من حياتي اشرب قهوتي مع حد غيرك.

- ...

- صعب أوي إني لما أرجع من الشغل مخنوق ألاقي حضن غير حضنك أستخبى جواه..

- آدم.. أنت مجنون؟

- هو الجنان الحقيقي إني أختار أكون مع حد غيرك.. عشان هو دايمًا ما كانش في غيرك..

- أنا.. مخضوضة شوية ومش فاهمة..

- عندك وقت كتير أوي تفهمي فيه.. عشان أنا مش هروح أي حتة خلاص.. أنا يمكن كنت جبان لما حبيتك وما قلتش.. بس أنا مش عايز أبقى جبان في حبك يا مريم.. حبك يستاهل ...

المحطة ٣٠

سأقول لك نصيحة مهمَّة للغاية ستغير حياتك، صدِّق الغرباء، الغرباء لديهم ما يكفي من الحكمة ليغيروا رأيك ووجهة نظرك عن شيء ما، صدِّق الغرباء فهم لا يريدون أي شيء في المقابل، مجرد أشخاص عابرين يمتلكون من الحكمة ما يكفي لترى الحياة ولو لمرة واحدة على حقيقتها وبشكلها الطبيعي بلا تزييف أو تجميل..

من العادات السيئة عندي إني دايمًا بنام في ساحة الانتظار في أي مطار بروحه، الموقف ده خلاني أفوت طيارتي كذا مرة وبرضه مش بتعلم، بس المرة دي مش حاسس إني عايز أنام، أو يمكن اللخبطة الكتير اللي بتدور جوه راسي دلوقتي مخلياني بفكر في أي حاجة غير إني أنام، قررت أهرب من إسكندرية عشان أبقى بعيد، في أوقات كتير إسكندرية مكانتش بتديني غير وجع ما بينتهيش..

كنت في مطار القاهرة مستني طيارتي لفرنسا، السنة دي كانت فعلًا متعبة والحاجات الكتير اللي حصلت فيها كان لازم بعدها أجازة طويلة أبعد فيها عن كل الناس وكل حاجة توجع الدماغ، حتى لو الأجازة دي في ديسمبر وفي عز البرد.

لما ركبت الطيارة طلبت من المضيفة كوباية مية وطلبت منها إنها متصحينيش وقت الأكل لو لقيتني نايم، قولت لنفسي إن من أول ما رجلي

تدخل الطيارة أنا هنسى كل حاجة وأرمي كل همومي ورايا، على الأقل لحد ما أرجع لها تاني، لاحظت بعد دقايق بنت بتقرب مني وبتستأذني تعدي عشان تدخل الكرسي اللي جنب الشباك، كان باين عليها القلق وباين إنها كانت بتجري، ابتسمت وعديتها، حاولت أفتح معاها أي كلام عشان أهديها شوية...

- حظك حلو.. لو كنتي اتأخرتي أكتر من كده كانت الطيارة فاتتك.

- أنا أصلي بقالي كتير مأخدتش إجازة ونسيت إني لازم أتحرك بدري شويتين.

- المهم إنك هنا دلوقتي .. أنا عبد الله.

- أريج .. اتشرفت بيك.

- انتي منين يا أريج؟

- إسكندرية..

أول ما بدأت الطيارة في الإقلاع، حسيت إنها خايفة، وبحركة لا إرادية منها لقيتها بتمسك إيدي، حسيت إنها اتكسفت فضحكت لها ومديت لها إيدي.

- تقدري تمسكي إيدي لو قلقانة .. أنا زمان برضو كنت بخاف من الإقلاع والهبوط بس مع الوقت اتعودت.. زي ما انتي أكيد هتتعودي مع

الوقت.

- ما أعتقدش إني هتعود.. لأني مش ناوية أرجع تاني.

- يا بختك..حلو إن الواحد مننا يقدر يسيب كل حاجة وراه ويمشي ويبقى عنده كمان القدرة إنه ما يرجعش تاني.

- ساعات ده بيبقى غضب عننا.. أنا عمري ما كنت عايزة أمشي.

- أقدر أسألك وليه هتمشي؟ ولا هبقى بتعدى حدودي..

- عارف لما تبقى مستعد تحارب عشان حد وتلاقيه مش بيحاول حتى يدافع عن وجودك في حياته بعصاية حتى؟ .. أنا بقالي سنين مع الشخص اللي كنت فاكرة إنه مستقبلي والكلام العبيط ده وأول ما اتقدم لي عريس غيره لقيته مش بياخد أي موقف عشان نفضل سوا..

- فا طبعًا قررتي إنك تسيبي البلد كلها وتمشي، منها تبعدي عنه وتبعدي عن العريس الجديد.

- أنا عمري ما كنت البنت اللي حلمها فستان فرح وزفة والكلام ده.. بس كلنا بنقابل حد بيخلينا نتمنى نعيش الحاجات البناتي دي..

- سبحان الله.. أنا بقى بهرب دايمًا من حكاية حب كان نفسي إنها تكمل.. فضلنا مع بعض سنين .. تقريبًا من أيام الجامعة واحنا مع بعض وفي يوم وليلة لقيتها بتقولي إن في عريس عايز يتقدم لها.. طلبت منها إنها

تستناني .. طلبت منها إنها تفضل جنبي لحد ما أقدر آخد خطوة بس هي كانت ليها أحلام كتيرة مستعجلة عليها.. و من ساعتها وأنا عايش سواح كده.. كل كام شهر في بلد.

- خايف تفتكرها؟

- أنا منسيتهاش أصلًا.. أنا ببقى خايف أشوفها في أي مكان.. كل مكان بيفكرني بيها.. فا قلت إن العالم واسع برضو.. بلاد وحضارات وحواديت.. و كل ما بتكتبي حكاية جديدة في كتابك بتلاقي القديم بيتمحي واحدة واحدة..

- تفتكر احنا اللي مفروض نكون بنهرب منهم؟ . .ولا هما اللي المفروض ما يكنش عندهم القوة إنهم يرفعوا عينهم في عينينا؟

- أنا عايزك تركزي في اللي جاي من حياتك.. ماحدش هينفعك غير نفسك يا أريج.. مهما عدى وقت انتي مش هتنسي إلا لو من جواكي عايزة تنسي وعايزة تبقي أحسن.. و بعدين يا ستي انتي رايحة فرنسا.. يعني عندك مليون حاجة تعمليها وبعدين تقدري تاخدي القطر وتسافري كل البلاد اللي حواليها.. اتصوري كتير واعملي ذكريات كتير.. انسي كل اللي ماقدرتيش تحققيه عشان اللي هتكسبيه مع الوقت أكتر بكتير أوي..

- أنا مش عارفة أقولك ايه.. أنت بجد جميل أوي.. مش شبه باقي الناس.. ممكن آخد نمرتك عشان لو عملت أي مصيبة أكلمك تلحقني..

- للأسف.. مش هينفع.

- آه.. آسفة.. أكيد في حبيبة مستنياك في فرنسا.

- لا خالص.. الموضوع مش كده..

- يبقى ناخد سيلفي.. عشان أفتكر الشخص اللي قابلته في بداية رحلتي لحياة جديدة.

- بس...

- مفيش بس..

طلعت أريج موبيلها عشان تاخد الصورة، واتفأجت وجالها هلع لما لقت إن انعاكسها هي بس اللي ظاهر على الشاشة وإن مفيش أي صورة ليا ظاهرة..

- متخافيش.. عشان خاطري متخافيش، أنا مظهرتش بس غير أما حسيت إنك بجد محتاجة حد تتكلمي معاه.. خلي بالك من نفسك يا أريج..

كان باين على وشها الخوف، كان باين على وشها الرعب كمان، قربت منها مضيفة كبيرة في السن، قعدت جنبها وقربتها من حضنها وقالتلها:

- متخافيش .. احنا هنوصلك لبدايتك الجديدة .. كل واحد على الطيارة دي فضل متعلق في حكاية مش خلصانة لحد ما أرواحنا كلنا فضلت متعلقة في الرحلة دي.. رحلة بنفضل رايحين جايين عليها.. بس مش مسموح لنا

المحطة ٣١

الأصدقاء هم كل شيء، هم الحياة والذكريات والسند والقوة.. والضعف أيضًا في بعض الأحيان، بعض قصص الصداقة مستوحاة من معنى الصداقة الذي يبحث عنه الجميع أو الذي لم يعرفه الكثيرون، الصداقة التي فرقتها الأيام والانشغالات والأعمال، ولكنها الصداقة التي تحمل ما يكفي من الحب لتجعلنا نترك العالم بأسره لمجرد ساعات من السعادة والحب الخالص الخالي من أي أهداف أو مطامع..

عمر ساب مصر من سنة تقريبًا..

سنة بعيد عن أهله، عن صحابه وعن كل مكان بيحبه ومتعلق بيه ..

عمر رجع امبارح من أمستردام، وهما كام يوم وهيسافر تاني..

بقاله سنة بيفكر في اليوم اللي هيرجع فيه، بيفكر في الخروجة اللي هيجمع فيها الشلة بعد سنة من الفراق..

في أمستردام الحياة مش مدهشة زي ما كان متخيل قبل ما يسافر، المصريين اللي هناك مش صحابه أوي، أقرب صاحبة ليه هناك هي العجلة اللي اشتراها وبيروح بيها الشغل زي أغلبية سكان البلد هناك..

كل يوم بليل يفتح فيسبوك ويشوف أخبار صحابه ايه، ساعات بيتكلموا فيديو كول، وأوقات كتير المواعيد مش بتظبط..

كلمهم كلهم لما وصل، طلب إنهم يتجمعوا زي زمان، نفسه في يوم واحد بس شبه أيام زمان، أيام ما كانوا بيتجمعوا عنده باليومين والتلاتة، هزار وضحك ومونوبولي، بيتمنى بس إنه يعيش يوم واحد من الأيام دي..

عمر لسه فاكر كويس أوي يوم سفره وصحابه لما وصلوه المطار، الموضوع كان دراما أوي، بس كان جميل.

لما وصل بعتلهم على جروب الواتساب بتاع الشلة اللي نادرًا ما حد بقى بيتكلم عليه فويس نوت قال فيها:

- النهاردة هنتجمع بليل على كوبري ستانلي زي زمان..

كلهم سمعوا الفويس نوت، الأربع صحاب اللي نفسهم جدًّا يشوفوا صاحبهم اللي بقاله سنة غايب..

أول واحد سمع الفويس نوت كان أدهم، أدهم حياته بقت روتينيَّة جدًّا بعد الجواز، عنده ابن زي القمر وزوجة طيبة، زيهم زي أي اتنين متجوزين عايشين في دوامة المصروف وتفاصيل الحياة الزوجية، بيفتكر كتير أيام صياعته قبل الجواز، أيام ما مراته كانت حبيبته وبيتمنى أيام زمان ترجع تاني، بيتمنى يبقى عنده مشاكل تانية غير إن البامبرز سعره غلي أو إن الزيت عليه عرض، كان ناوي يكسل زي العادة ومايطلعش من دايرة حياته اليومية اللي بيحبها رغم كل شيء، ولقي نفسه بيقول لمراته:

- أنا بحبك ونفسي نفضل طول حياتنا سوا.. أنا هنزل أشوف عمر

والعيال.. لو اتأخرت نامي ما تستنينيش..

باس راسها ونزل، نزل بعد ما حضنها حضن كان نسي طعمه من كتير..

تاني واحد سمع الفويس نوت كان محمد، محمد رتم حياته بقى سريع، كل حاجة فيها بقى سريع، مابيكملش في مكان شغل أكتر من شهرين، مابيكملش خطوبة أكتر من شهر، كل حاجة في حياته بتبقى مملة بعد وقت قصير، محمد تقريبًا مش بيسيب التليفون من إيده، وبما إن شغله في السوشيال ميديا بقى حرفيًا وشه في التليفون ٢٤ ساعة، حتى لما بيقابل الشباب على القهوة بيقعد على جنب هو وتليفونه لحد آخر القاعدة، لما سمع الفويس نوت بتاعة عمر افتكر حاجات كتير أوي ضاعت من حياته، الدفا واللمة، لقي نفسه من غير تفكير بيلبس هدومه، بعدها قفل تليفونه وسابه ونزل عشان يروح على كوبري ستانلي.

تالت واحد سمع الفويس نوت كان فؤاد، فؤاد أبو قلب طيب اللي الدنيا ماغيرتش قلبه، دايمًا تايه في ملكوت الدنيا، مش عارف يشجع أنهو فرقة، مش عارف يربي دقنه ولا يصيع، مش عارف يحب بجد ولا يفضل يصاحب في بنات شمال، عنده حيرة في كل حاجة في حياته، أوقات يلاقي نفسه بيصلي ويحضر دروس دين وأوقات تانية يلاقي نفسه بيلف حشيش في عربيته، في يوم قابل راجل عجوز بيصطاد على البحر، لفت نظره ابتسامة الصياد، وقف جنبه يتفرج عليه وهو بيصطاد بكل هدوء وصبر، سأله عن حياته فا قاله:

- أنا بصطاد هنا من ييجي ٤٠ سنة.

- وبتكسب كويس؟

- ربك لما يريد.. يوم يرزقني بـ ٢٠ جنية ويوم يرزقني بـ ١٠٠.. كله في الآخر رزق.

- طب أنا عايز أشتري كل الصيد بتاع النهاردة.

دور فؤاد في جيبه لقي معاه ٢٠٠ جنيه فا اداهم للراجل واللي فرح من قلبه وفضل يدعيله كتير، بعدها بكام يوم طلع قرار بترقية فؤاد في الشغل، عرف وقتها إن الخير هو اللي بيفضل مهما كان الإنسان تايه، بعد ما سمع الفويس نوت جري أوام على كوبري ستانلي..

آخر واحد سمع الفويس نوت كان شريف، شريف ده بقى فنان الشلة، من وهما عيال وهو حلمه إنه يبقى ممثل، في مسرح المدرسة كان بيمثل وفي مسرح الجامعة كان بيمثل، ماكنش في فرصة تمثيل واحدة بيفوتها حتى لو كان دور صغير، المسرح بالنسبة له كان حياته، يقف في الكواليس قبل ما الستار يتفتح يقرا قرآن ويدعي، يفضل يسأل المخرج عن عدد الجمهور، ولما يبقى في نص المسرح كان بيبقى الشخص اللي بيلعب دوره بكل إتقان.

اختار الفن رغم كل شيء، حتى حبيبته اللي فضلوا مع بعض سنين سابته لما حست إنه مش بينجح في الطريق اللي اختاره، ماقدرتش تستنى شاب

عنده حلم وقررت تختار واحد تاني جاهز، كان دايمًا بيسمع جملة «ايه يا فنان مش هنشوفك في فيلم قريب ولا ايه؟»، وكان دايمًا يقول إن الحلم هيتحقق، مهما طال الوقت الحلم مسيره يتحقق، بس بقى يخاف يقابل حد فا يشوف نظرة شفقة في عينهم، بعد عن كل الناس حتى عن صحابه، امبارح. تليفونه رن برقم غريب، مساعد مخرج يعرفه من أيام مسرح الجامعة عايزه في دور مهم في مسلسل لنجم كبير، عيط في التليفون وفتح الشباك وفضل يدعي ربنا ويشكره كتير، لما شاف الفويس نوت قرر إنه أخيرًا هيقابل الشلة القديمة وهو رافع راسه بخبر أكيد هيفرح الكل..

في الميعاد كانوا كلهم موجودين، سنة كاملة مشافوش فيها بعض، سنة غيرت حاجات كتير فيهم بس ماغيرتش حبهم لبعض، بعد الأحضان والسلامات لقوا نفسهم سكتوا، ضحك عمر وقال:

- والله زمان ..

- أهو رجوعك ده اللي خلانا نتلم..

- فاكرين أيام زمان؟

- مفيش زي أيام المدرسة.. راحة بال وبساطة..

- ورحلات.. فاكرين آخر رحلة طلعناها؟

- رحلة أسوان.. يا لهوي على دي رحلة.. وأنت داخل الفندق بشوال قصب يا فؤاد تقولش داخل الغيط.

- شكلك نسيت ورق الجرايد اللي قعدت تقنع السواح إنه ورق بردي وكانت شرطة السياحة هتشدك.

- مكانش في هم ولا مشاكل.. ولا عيل بيعيط ليل نهار.

- أدهم شكله مش طايق عيشته..

- لا والله الحمد لله على كل حاجة.. فاكرين انتوا البت اللي كان مصاحبها فؤاد وكانت مصاحبة عليه اتنين.

- اتلم بقى بدل ما أروقك.. وبعدين أنا اللي سيبتها.

- فاكرين لما كنا بنزوغ من المدرسة عشان نلعب بلاي ستيشن ١ .. كانت عقيمة.

- ولا سفريات الساحل.. معرفش كان ايه متعتنا إننا ندفن بعض في الرملة لحد ما نستوي..

- ولا علبة البيتزا اللي كان بيجبها محمد في المدرسة ونخطفها منه.. كان بيصعب عليا والله.

- احنا ليه بطلنا نتلم زي زمان؟

- يمكن عشان كبرنا؟ .. الحياة والروتين سرقونا.

- يا ابني أنت هتعملي فيها جدو ليه .. تمانية وعشرين سنة وكبرنا؟

- احنا ماكبرناش ولا حاجة .. احنا أخدنا خطوة واحدة لقدام.

- اللمة دي خلتني أحس من تاني إني رجعت عيل في المدرسة.. احنا مابنعملهاش كتير ليه.

- من يوم ما عمر سافر واللمة قلت.

- طب واللي يفرحكم ويقولكم إنه قريب راجع تاني ومش مسافر.

- ده أنا أبوسك من بقك.

- لا خلاص يا عم خليني هناك لو الموضوع هيبقى مقرف كده.

- خلاص من غير بوس.. بس ارجع أنت..و كل حاجة ترجع من تاني زي زمان..

- ما تيجوا نطلع نجري..

- الناس هيضحكوا علينا..

- واحنا من امتى بيفرق معانا حد.. ده احنا كنا ملوك المصايب والفضايح.

ضحكوا هما الخمسة وبدأوا يجروا ويضحكوا بصوت عالي، بيضحكوا وهما عندهم يقين إن الليلة دي هيبقى فيها بداية لأحلام هترجع من تاني وذكريات صحيت جواهم مش ناوية تموت ولا تختفي مهما طال الوقت . . .

المحطة ٣٢

تحمل الإسكندرية الكثير من الأسرار التي لن يفهمها أو يكتشفها إنسان، ومن أهم تلك الأسرار هي أسرار الفراق والندم، أسرار الفرص الضائعة التي نتمناها ولا نتملكها، والسر الأكبر هو لماذا لا تبقى الحياة على حالها ولا يبقى الحب في نهايته كبدايته؟

- صباح الخير..

- صباح النور..

- آسفة لو عطلتك عن القراية.. بس اسم الكتاب شدني.

- لا مفيش أي مشاكل .. كويس إن لسه في حد مهتم بالقراية أصلًا.. دي رواية اسمها اليوم التاني.

- حلوة؟

- حزينة حبتين.. بس حقيقية.

- أيوه يعني حلوة؟

- على حسب يعني.. بتشوفي الحاجة الحزينة حلوة ولا وحشة؟

- مش عارفة..

- اتفضلي استريحي طيب الأول..

- متأكد مش هبقى رخمة؟

- خالص..اتفضلي.

- الرواية بقى.. بتحكي عن ايه؟

- الرواية بتحكي عن واحد مستني واحدة بس ما بتجيش.. القصة بتبدأ إنها بتوعده إنها هتقابله في اليوم التاني عشان يبعدوا عن كل حاجة ويبدأوا حياتهم مع بعض.. بيستناها في المكان اللي بيتفقوا عليه بس ما بتجيش.. بيفضل ييجي كل يوم قدام بحر إسكندرية.. بيفضل ييجي نفس المكان كل يوم.. وهي برضو ما بتجيش..

- وبعدين؟

- سنين بتعدي.. وكل حاجة زي ما هي.. هو شخصيًّا فقد الإحساس بالدنيا اللي حواليه.. الشتا بقى زي الصيف والصبح بقى زي الليل.. و إسكندرية بقت زي كل الأماكن التانية.. كلهم في الآخر أصبحوا مجرد مواعيد وأماكن انتظار ..

- وفي النهاية؟

- بتخلص الرواية وهو لسه مستني.. بيدور كتير عليها بس مش بيلاقيها.. اللي بيقول دي ماتت واللي يقول غرقت في البحر واللي يقول إنها قررت تسيبه مستني .. بس الحقيقة فين ماحدش عرفها..

- وأنت شايف ايه؟ شايف هي راحت فين ؟

- صعب أشوف حكاية وأنا جواها.. صعب أقولك على شيء بالنسبالي مجهول وبالنسبالي لو حتى فيه بصيص أمل أد كده.. هفضل متعلق بيه..

- بتتكلم كأنك بطل الرواية.. مش غريبة دي؟

- وهو اللي بيكتب رواية مش بيبقى هو البطل برضو؟

- تقصد إنك؟

- بالظبط كده.. أنا اللي بيستني هنا بقاله سنين.. ٧ سنين عشان أبقى دقيق. .وهي برضو مش بتيجي..

- لسه عندك أمل؟

- بما إني ماسمعتش عنها أخبار.. سواء وحشة أو حلوة.. وبما إني لسه عايش أهو.. يبقى ليه ما يبقاش عندي أمل؟ .. انتي مثلًا.. بشوفك هنا كتير.. ايه سر حبك للمكان ده؟

- بحب القهوة هنا أوي.. مختلفة عن لأي مكان تاني..

- لأهو يمكن ده بقى سر تمسكي بيها.. يمكن هي عاملة زي القهوة اللي بتحبيها هنا.. مختلفة وما تتعوضش ولو شربت ١٠٠٠ فنجان قهوة في مكان تاني هرجع تاني للطعم اللي بلاقي نفسي معاه..

- شكلك فيلسوف.

- شكلك انتي اللي لمضة..

- بيقولوا اه..لمضة جدا جدا

- وحشتيني.. وحشتيني يا سارة..

- كل ده عشان تقولي وحشتني.. لازم كل يوم الفيلم العربي ده؟

- ما انتي عارفة بقى إني بحب الأفلام.

- خلصت الرواية؟

- فاضل بس المشهد الأخير.. اللي لسه مستنيه.

- عشان خاطري ماتوقفش حياتك على المشهد ده.. أنت أقوى من كده..

- حاولت.. صدقيني حاولت.. ماحدش بيفرح بالوجع ولا بيفتخر بيه..

- كل اللي بطلبه منك إنك تحاول تاني.. لو لسه ليا مكان جواك.. اقفل الصفحة دي وابدأ من جديد..

- وأدور على مكان تاني بيعمل قهوة شبه اللي هنا؟

- كأنك عشت سنين تسمع أغنية لحد ما زهقت منها.. أنت محتاج تسمع أغنية جديدة وتحب مكان تاني غير إسكندرية...

«يقترب الجارسون من الطاولة وينظر إليَّ وأنا أكتب في أوراقي وأحدث نفسي وسألني».

- أستاذ طاهر.. تحب أجيب لك قهوة تانية؟

- لا خلاص يا محمد .. الدنيا شكلها هتمطر.. هاتلي الحساب وأشوفك بكرة على خير..

المحطة ٣٣

هو مزيج مدهش لم يقدر على فك رموزه أذكى العلماء والعاشقون، الإسكندرية والحنين وصوت منير، مزيج كفيل بحبسك في سجن من الحنين إلى ما يشاء الله، الإسكندرية كانت وستظل مدينة الحنين والحب، وديسمبر سيظل إلى الأبد شهر الذكريات والألم وأنتِ ستظلين إلى الأبد أغلى من أحببت وأكثر من جرحني..

زي العادة، روتين الحزن في حياة حازم معروف، بيبعد عن كل حاجة ويبعد عن كل الناس، بيبعد من غير ما يفكر في نتايج أو أسباب، كان دايمًا بيلاقي الراحة في البعد. بحكم العادة بيهرب على إسكندرية، ما بيحسش إنه ارتاح غير لما يلاقي نفسه قدام البحر، يتكلم معاه ويفضفض، البحر مش هيلوم، البحر مش هيحكم، البحر هيسمع وبس وعشان كده كان هو بيحب كلامه معاه..

كانت الساعة وقتها ٦ الصبح، الشوارع لسه فاضية، ناس كتير مش بتحس بقيمة جمال الساعة ٦ الصبح من كل يوم، خصوصًا لو في إسكندرية، ركن عربيته، قلع جزمته ونزل لحد ما حس بالبحر والرملة على رجله، ضحك وافتكر قد ايه هي كانت بتحب إسكندرية، أو يمكن كانت بتحبها عشان هو بيحبها؟

بص حازم حواليه عشان يتأكد إن مفيش حد موجود ورمي نفسه في البحر

بهدومه، حس بالندم أول ما بقى جسمه كله في المية، «ايه التلج ده !!» قالها لنفسه بعد ما أدرك إنه جوه البحر في شهر ديسمبر، بس رغم البرد كان مبسوط، كان بقاله كتير ما عملش حاجة نفسه فيها من غير ما يفكر كتير ويحسب كل حاجة. ثواني ولقي حارس الشاطئ بيجري ناحيته، بيصفر له ويقوله يطلع، أكيد تخيل إن الحارس شايفه إنسان مجنون على اللي بيعمله ده، اتأسفله حازم وجري على عربيته عشان يلبس لبس تاني بسرعة.

فتح الراديو بعد أما دخل العربية، ضحك من قلبه وهو بيسمع منير بيقول «شبابيك الدنيا كلها شبابيك والسهر والحكاية والحواديت»، طول عمره بيحب منير، رغم إن بقاله كام سنة مخاصم صوت منير في الـ playlist بتاعته، هو بقاله كذا سنة مش هو، بقاله كذا سنة بيقول إنه مبسوط وهو مش مبسط، بيخرج معاها في أماكن ما تشبهلوش عشان بس يرضيها حتى لو الأماكن دي مش شبهه، بقاله كتير بعيد عن إسكندرية عشان كانت دايمًا بتشوف إسكندرية مكان ممل وهو كان دايمًا بيحاول يريحها، بقاله سنين كتير حاسس إنه مسخ، بيسأل نفسه كتير هو فين حازم بتاع زمانه وراح فين.

امبارح سابوا بعض، هو اللي سابها أو هي اللي سابته، مش مهم، النهاية واحدة، المهم إن حازم أخيرًا قرر إنه يكسب فرحته، الكتب اللي بقاله سنين مش لاقي لها وقت، الأفلام اللي كل أسبوع بيعود نفسه إنه هيتفرج عليهم وفي الآخر يتخانق هو وهي ويبوظ اليوم ويبوظ موود الفيلم، حازم قرر إنه محتاج يفرح شوية على سبيل التغيير، عشان كده أول حاجة عملها النهاردة

بعد ليلة طويلة مليانة خناق ووداع، إنه طار على إسكندرية عشان يترمي في حضن البحر.

هو بقاله كتير مش بيعمل حاجة في حياته غير إنه بيحاول يطبع نفسه على حياة ما تشبهلوش، هو بقاله كتير بيتنفس نفاق وحياة حولته لمسخ، السفر والحرية اتبدلوا بسهر وقلة نوم وتعب أعصاب، بس هو النهاردة خد القرار واختار نفسه، علَّى صوت الكاسيت وبدأ يغني بصوت عالي مع منير وهو سايق على الكورنيش ويقول:

«أنا بعت الدموع والعمر .. طرحت جناينى في الربيع الصبر».

المحطة ٣٤

الحبُّ الصادق لا يعرف وقتًا ولا زمنًا، الحبُّ صادق يستمر إلى الأبد مهما تغيرت تفاصيل الحياة، الحبُّ الصادق كفيل بزرع الأمل بداخلنا حتى وإن كان الحبُّ بلا أمل وبلا اعتراف لمن نحبُّ، وتلك القصة تحمل بين طياتها كل معاني الحب الصادق غير المقترن بزمان ولا منطق على الإطلاق..

- ايه يا جدو .. وقفت ليه؟

- شايف البلكونة دي؟

- أنهو بلكونة؟

- البلكونة اللي كلها ورد دي .. كنت بحب واحدة ساكنة فيها زمان، أجمل واحدة فيكي يا إسكندرية..

- جدو حضرتك طلعت رومانسي ولا ايه؟

- كان اسمها دنيا .. أو دانا .. حاجة كده.

- حضرتك نسيت اسمها؟

- لا هو أنا عمري ما عرفت اسمها.. كنت بعدي من قدام بيتها كل يوم وفي يوم من الأيام شوفتها واقفة في البلكونة دي.. كنت بتلكك عشان أعدي من هنا.. مرة أشوفها بتسقي الزرع، مرة أشوفها بتقرا كتاب، كانت

بتحب القراية أوي.. و في يوم سمعت حد بينده عليها من جوه البيت، أفتكر اللي كان بينده قال يا دنيا يا دانا.. حاولت أعرف كتير اسمها بس ماو صلتش لحاجة ..كنت باجي في عز الصيف وفي عز الشتا.. جايز إسكندرية كلها كانت عارفة إن في مخبول بييجي يقف تحت شباك حبيبته وعمره ما فكر يكلمها.

- محاولتش تكلمها طيب؟ تتعرف عليها؟

- طول عمري عندي خوف من الخطوة الأولى.. بترعب لما أحس إني ممكن قلبي يحب حد ويتعلق بيه.. بصراحة اتمنيت كتير إن القدر يلعب لعبته ويخليني أتعرف عليها بصدفة أو بشكل مش مباشر.. عارف.. كنت كتير أوي بتخيل نفسي قاعد معاها في جروبي بنشرب قهوة الصبح، وبنسمع جاز، كتير كنت بتخيل نفسي قاعد معاها في الأوبرا بنتفرج على عرض مسرحي، كنت أغمض عيني وأتخيلها لابسة فستان أسود طويل وأنا لابس بدلتي وجايب شعري على ورا مش على جنب.. عشان قال يعني أبان إني واد مخلص ..

- قديم أوي الكلام ده يا جدو ..

- طب ما أنا قديم يا واد.. و بعدين هو في أحلى من القديم.. كل حاجة وقتها كانت أحلى، المزيكا كان فيها تأني وشجن، الكلام كان ليه معنى، حتى الحب مكانش سهل زي دلوقتي.. تقعد تفكر ١٠٠ مرة هتكتب ايه

لحبيبتك في الجواب.. مش لو الكلام على الموبايل مش عجبك تمسحه وتكتب غيره في ثواني.. التفاصيل كان فيها روح..

- طب ليه مافكرتش تجرب تدي نفسك فرصة في الحب ده؟

- كل اللي كنت بعمله هو إني أتخيل، أتخيل نفسي نازل بسرعة على السلم وهي مستنياني تحت في لهفة، أتخيل وأنا بتخانق مع واحد بيعاكسها في الشارع فتعرف غلاوتها عندي، أنا فضلت أحبها سنين بس في خيالي.. يعني لما اتجوزت جدتك كان جواز صالونات، أما اللي قلبي اتعلق بيها ماعرفتش حتى أكلمها.. كل حاجة اتغيرت في حياتي إلا إني مابطلتش أعدي من قدام البلكونة بتاعتها، أتمنى إنها تبقى واقفة بتتفرج على الناس من شباكها أو إنها تبقى مشغلة الراديو وصوت عبد الحليم يملا قلبها فتحس باللي حب ولا طالش..

- ودلوقتي يا جدو وبعد كل السنين دي.. مش بتفكر تقابلها أو تحاول تكلمها؟

- ياااه ..الكلام ده عدى عليه فوق الـ ٤٠ السنة، أكيد هي اتجوزت وخلفت وعندها أحفاد جمال زيك كده يا حبيبي.. وبعدين هي أصلًا ماتعرفش إني موجود.. أنا كنت بآجي أفضل قاعد في القهوة اللي قدام بيتها بالساعات.. على الكرسي اللي بيطل عالشارع ده.. و لما تدخل جوه بحاسب على المشاريب وأمشي .. في الأغلب أنا مفروض أنساها..

- يعني ٤٠ سنة عدت وتيتة ماتت وحضرتك مش قادر تنساها وعايز دلوقتي تنساها.

- قدري بقى.. هعمل ايه.. يلا بينا عشان نلحق ميعاد السينما.

جوه شقتها الجميلة كانت دنيا واقفة ورا ستارة البلكونة تتأمل العجوز اللي كان شابًّا في يوم من الأيام، عجوز عمره ما فكر يكلمها بس عمره ما بطل يعدي قدام بيتها، عمرها ما فهمت إصراره عليها ولا خوفه منها بس حبت حبها ليها، ماحستش أبدًا بأهميتها في الحياة إلا بسبب طلته كل يوم قدام شباكها، اتجوزت وخلفت، كبرت بناتها ومات جوزها ولسه بتشوف الجدع إياه بيعدي ويبص بنفس الشوق بتاع زمان..

- بتبصي على ايه يا تيتة.. الأكل هيبرد.

- الراجل اللي دايمًا بحكيلك عليه.. لسه معدي من قدام البلكونة هو وولد صغير.

- هو لسه مازهقش.. ده من كلام حضرتك إنه بقاله ٤٠ سنة بييجي بس عشان يبص عليكي.

- وعمره ما فكر يكلمني حتى.. مجنون الجدع ده ولا ايه.

- اوعي تكوني لسه بتحبيه..

- شكلي كده .. قلبي بيرجع يدق في كل مرة بشوفه..

- تفتكري هيجي يوم ويكلمك؟

- لو مكتوب لنا نتقابل.. أكيد هنتقابل حتى ولو بعد ٤٠ سنة كمان...

المحطة ٣٥

نتشبث بأي شيء مرتبط بمن أحببناهم، نتشبث بجواب قديم يحمل كلماتٍ ووعودًا في الأغلب لم تكتمل، نتشبث بتلك الأغنية التي سمعناها سويًا في اللقاء الأول، برائحة العطر المعلقة في ملابسنا بعد الحضن الأول، نتشبث بأي شيء يشعرنا بأننا ما زلنا على قيد الحياة مهما كان هذا التشبث مؤلمًا وجارحًا..

كل يوم سبت من كل أسبوع اتعودت أروح جنينة الحيوانات اللي في إسكندرية، أفضل قاعد بالساعات قدام الزرافة، كانت زرافة وحيدة وحزينة.. تشبهلي جدًّا وتشبه لإسكندرية في الشتا..

كنت بوصل الجنينة حوالي الساعة ٩ الصبح، ومعايا كيس مليان جزر ولما بنبقى أول الشهر ماكنتش ببخل عليها بشوية فاكهة كمان عشان أخليها مبسوطة..

في الأول كان الحارس بيستغربني، بيستغرب الراجل الشحط اللي بيفضل قاعد قدام الزرافة بالساعات بيأكلها ويتفرج عليها وبعدها يمشي بس مع الوقت اتعود على وجودي وبقى بيسأل عليا كمان لو في يوم غبت أو اتأخرت، كنت مرتبط جدًّا بالزرافة دي، كنت مسميها فلة رغم إن الحارس كان بيقولي إن اسمها نسمة، في مرة قريت إن متوسط عمر الزرافة ٢٥ سنة تقريبًا، سألت عم شوكت الحارس تاني يوم عن سن فلة.

2575565132

- فلة سنها دلوقتي ييجي فوق العشرين سنة.

- هي ليه فلة عايشة لوحدها؟

- زمان حضرتك كان ليها دكر.. و عيل كمان.. بس الدكر أخدوه الجنينة اللي في الجيزة والعيل مات بدري بدري..

- طب ليه ما يبقوش سوا.. ليه كل واحد فيهم يعيش في مكان وهما آخر اتنين من نفس النوع في البلد..

- الدنيا بقى يا سعادة الباشا.. عشان متبقاش جنينة فيها زرافة والتانية لأ..

حكايتي مع فلة بدأت من يمكن ١٥ سنة، كنت وقتها لسه في الجامعة وأحلامي جوايا ملهاش نهاية، وقتها أحلامي كلها اتشكلت على هيئة بنت اسمها حور، حور كانت السعادة والدفا والأمان اللي ماعدش موجود في الدنيا، حور كانت بتحب الجنينة جدًّا، وقتها فلة كانت لسه صغيرة، وقتها فلة كانت زرافة سعيدة مش شايلة هم الفراق ولا الوحدة، زيها زي حور، واللي كانت بتحب أوي تيجي معايا نأكل فلة جزر ونطبطب عليها...

- بتحبي الزرافة دي انتي أوي..

- عارف إن الزراف ما بيطلعش صوت رغم إنه عنده صوت..

- لا وكمان مذاكرة الزرافة.

- اوعى تكون بتغير من الزراف.. هاتني بس هنا على طول وأنا هحبك أد ما بحب فلة.

- وكمان سمتيها فلة.. حاضر يا ستي هجيبك على طول..

سنين عدت، حور مابقتش معايا، واللي فضل منها جوايا هو حبها لفلة، بعترف إني كنت إنسان أناني وبعترف إني كنت سبب في بعدها ده، حاولت كتير إني أصلح غلطتي ولقيت إن الحاجة الوحيدة اللي ممكن أعملها عشان أحس من جوايا إني بعمل أي حاجة لحور هو إني آخد بالي من فلة عشانها...

فلة عدت العشرين سنة، ومن ملامحها الحزينة وحركتها الضعيفة، واضح كده إنها خلاص بتموت..

فلة آخر زرافة موجودة في الجنينة..

وآخر حاجة من روح حبيبتي في إسكندرية..

و من بعدها.. هتموت آخر حتة من حور جوايا...

وهعيش اللي باقي من عمري من غير روح..

المحطة ٣٦

لكل بداية نهاية، تلك هي الحقيقة الخالصة في الحياة، والأفضل دائمًا أن نعرف متى يجب علينا أن نتوقف، متى يجب علينا أن نضع نهاية لقصتنا، متى يجب أن نترك الماضي للماضي ولا ننظر خلفنا مرة أخرى، النهايات تكتب كي نزرع في روحنا بدايات جديدة تناسبنا وتسعدنا وتستبدل الأشواك في قلوبنا بورد يملؤنا بالحب والحياة والإصرار على التخطي والنسيان..

ازيك؟

مش كل الأفلام نهايتها وحشة.. ولا دايمًا الحكايات آخرها وجع...

ومش كل ديسمبر بييجي بيكسر عضمنا.. أوقات كتير بيقويه

ومش كل سفرية لإسكندرية بتبقى زحمة.. إسكندرية أوقات كتير بتبقى ملهمة وهادية..

بس دايمًا الأسئلة ما بتسبنيش.

ازاي عدت السنين دي وانتي مش موجودة؟

ازاي إسكندرية مفيهاش صوتك وريحتك..

بتفتكريني؟ .. طيب يا ترى شكلك اتغير؟

بصراحة مش بحاول حتى إني أعرف.

الصورة اللي سيبتك زمان بيها بخاف أبدلها بصورة مضلمة وقبيحة بفعل الزمن اللي أكيد غير فيكي حاجات كتير..

عدت امتى السنين؟ مش مهم.. المهم إنها عدت بالتغيير اللي كان لازم يحصل من زمان..

السنين اللي فاتوا أثبتولي إني بعرف أنجح حتى لو مشواري مفيهوش طرف تاني، وإني زمان لما كنت بحتاجك تكمليني كنت بس بوهم نفسي إني محتاج إيد تانية تخاف عليا وتطمن روحي..وقد ايه كنت غلطان!!

أيام معرض الكتاب خلصت على خير الحمد لله..

فرحتي بنجاحي صعب أقدر أوصفهم ليكي، فرحتي إني قدرت أوصل للي نفسي فيه إحساس صعب يتوصف..

بس عارفة..

كان نفسي فعلًا تبقي موجودة..

مش عشان تبقي معايا، بس عشان تشوفي أنا وصلت لايه من بعدك، تشوفي إني قدرت من تاني أقف على رجلي وأمشي بدل الخطوة مليون ميل.. ولوحدي من غير ما تكوني موجودة عشان تسنديني أو تساندیني، زمان كدبتي عليا لما كنتي بتقولي إني مش هوصل لحاجة لو انتي مش

موجودة في تفاصيل يومي، زمان كنتي بتعرفي ازاي تخليني متشعلق فيكي زي العيل اللي خايف يتوه ويضيع من غير مصدر أمانه.

بس انتي أمانك كان خوف، كان أمان مزيف بحاول أشوفه حقيقة رغم كل حاجة بتقول عكس كده..

يمكن مابقتش ملك في عيونك. بس كفاية إني ملك الملوك في مرايتي..

ازيك؟

الحياة أصبحت حقيقية بشكل مفرح من بعدك، بقيت مش محتاج أرسم صورة مش حقيقية عشان أرضيكي، بقيت مش بعمل الحاجات اللي كانت بتسحب من طاقتي عشان راحتك، زي السهر والدوشة والمزيكا اللي ملهاش روح اللي بتعشقيها، رجعت من تاني العربية تدندن حميد الشاعري ومحمد منير.

كان نفسي تكوني موجودة عشان أقولك إن ده أنا.. أنا اللي بجد مش أنا اللي حاولتي لسنين تشكلي هوية تانية ليه.. الكتابة اللي كتير اتريقتي عليها هي الحاجة الوحيدة اللي أنقذتني من حاجات كتير، الكتابة هي اللي خلتني أعيد اكتشاف نفسي.. لنفسي.

اتعودت دايمًا إني أكتب حواديت..

وعمري ما فكرت أكتب الحدوتة الأهم.. حكايتي أنا.

واللي فيها بهدي كل حاجة وصلت ليها لكل لحظة خذلان.. لكل مرة قولت إني مش قادر أكمل ولكل مرة حسيت في عينيك إني مش كفاية..

بتمنى تكوني بخير وبتمنى تكوني في اختياراتك الجديدة بتختاري الأشخاص زي ما هما.. مش بتغيري حاجة فيهم ولا بتحاولي تشكليهم بشكل يرضيكي انتي وبس..

مع كل رواية جديدة بفكر إني أكتب عنك.

أكتب الحكاية اللي محتاجة تتأرخ عشاني بس في كل مرة بتراجع

المجهود اللي بذلته معاكي زمان مش مستعد أبذله تاني ليكي حتى ولو على الورق...

في السنين اللي فاتت كتبت خواطر كتير بعنوان «اليوم الـ ... بعد الفراق» .. واللي فيها شوفتك حنين وذكريات وسنين ضاعت ماعدتهاش وماضي مظلم في تفاصيله والأهم .. الدرس الأهم في عمري..

ولكن اليوم تنتهي الرحلة دي، تنتهي لعنة ظننتها أسطورة. وخاطرة ظننتها رواية، أقدر وبكل ثقة أقولك إنك في المكان اللي تستحقيه جوايا، انتي في الماضي، الماضي اللي مش ناوي مرة تانية أبص ناحيته ولا أفتكره..

ولو في يوم افتكرته.. هفتكر بس إني اتعلمت منه أحب وأقبل.. نفسي

زي ما هي وإني لما أوصل.. هوصل بس عشان أرضي نفسي، مش أي حد تاني.

للاستماع إلى القصص بصوت الكاتب..

قائمة خاصة جدًّا لأكتر ٢٠ فيلم

«من وجهة نظري» مناسبين جدًّا للفراق والحنين:

- La La Land
- 500 days of summer
- Her
- Forrest Gump
- Eternal sunshine of the spotless mind
- Dead poets' society
- One day
- The Notebook
- Up
- Marriage story
- The pianist
- Marley and Me
- Ruby Sparks

- Blue Valentine
- A Drift
- The vow
- Candy
- A star is born
- Joker
- Seven pounds

عن الكاتب:

- كاتب وروائي مصري من مواليد الإسكندرية.
- تخرج من كلية الإعلام قسم إذاعة وتلفزيون.
- يعمل في مجال التسويق والإعلانات.
- كتب عدة برامج منها «راجل و٢ ستات - كراكيب- المخبر – حواديت نص الليل»
- أخرج وكتب العديد من الإعلانات.
- صدر له ٦ روايات « حنين اضطراري – آخر أيام آدم – زي كل سنة – كوابيس قبل النوم – كوابيس قبل النوم ٢ – في حضرة الموت « والتي تصدَّر بعضهم قائمة الأكثر مبيعًا في العديد من المكتبات والمعارض الدولية.